الفصل الثالث

دراسة صوتية

لأدعية العباد في الدنيا والآخرة

◄ **المبحث الأول:**

دراسة صوتية لدعاء أهل الجنة بصيغة (الحمد لله) ولدعاء أهل النار بصيغة (أخرجنا)

◄ **المبحث الثاني:**

دراسة صوتية للدعاء في البحر

المبحث الأول:
دراسة صوتية لدعاء أهل الجنة بصيغة (الحمد لله) ولدعاء أهل النار بصيغة (أخرجنا)

تؤدي الحالة النفسية للداعي وظيفة مهمة في صياغة ألفاظ الدعاء وتلوينه في ضوء حاجات الداعي ومراميه، لأن الدعاء إقرار بضعف أمام قوة، فيه رجاء وأمل، والدعاء في الدنيا يختلف عنه في الآخرة، فإن إبصار المحشر ومعاينة الجنة والنار ورؤيتهما عين اليقين تزيل أسباب الجفاء والإعراض والغفلة والإنكار، فتتعالى الهتافات والنداءات والاستغاثات، تشخص الأبصار وتبلغ القلوب الحناجر، ويؤمن الجميع أنه لا ملجأ من الله إلّا إليه، فيكون الدعاء صافياً فيه حرقة الرجاء والتوسل والانكسار والتذلل، فكل مَن هناك يطلب النجاة، وبعد الفصل بين الفريقين (فريق إلى الجنة وفريق إلى السعير)، يختلف الحال فقد أيقن كل مصيره، فاختلف الدعاء، ففي حين كان جميعهم يطلب الفوز والنجاة، بات الآن أهل الجنة يحمدون ربهم على النعيم ويشكرونه ويثنون عليه بما هو أهله، في حين تعالت أصوات أهل النار وتحشرجت مع لفح اللظى وشدة العذاب فراحوا يطلبون الخروج بل يتوسلون ذلك لا بل راحوا يلتاذون بخازن النار لتخفيف العذاب. ويبلغ المشهد مداه حين بات أهل النار يطلبون الهلاك فهو أرحم لهم مما يلاقونه من العذاب وهذا قمة البؤس والشقاء - أعاذنا الله - هذه المشاهد تبدو في غاية الهيبة والجلال عندما نطالعها في آيات الذكر الحكيم، (فقد عنى المنهج القرآني بمشاهد القيامة.. البعث والحساب والنعيم والعذاب، عناية واضحة، فلم يعد ذلك العالم الحاضر موصوفاً فحسب بل عاد مصوراً محسوساً، وحيّاً متحركاً، وبارزاً مشخصاً... عاش المسلمون في ذلك

العالم عيشة كاملة، رأوا مشاهده وتأثروا بها. وخفقت قلوبهم تارة واقشعرت جلودهم تارة وسرى في نفوسهم الفزع مرة، وعاودهم الاطمئنان أخرى ولاح لهم من بعيد لفح النار، ورفت إليهم من الجنة أنسام، ومن ثم باتوا يعرفون ذلك العالم تمام المعرفة قبل اليوم الموعود، وتبدى ذلك من خلال مشاعرهم المؤطرة في عبارات تنم عن أنهم كانوا يعيشون فيه عيشة أعمق وأصدق من حياتهم في هذه الدار الدنيا، وكانوا ينتقلون بحسهم كله إليه، كما ينتقل الإنسان من دار إلى دار، ومن أرض إلى أرض في هذه الحياة المشهودة المحسوسة... ولم يكن ذلك العالم مستقبلاً موعوداً في حسهم وإنما كان واقعاً مشهوداً، وربما كانت هذه المشاهد أطول مشاهد القيامة في القرآن وأحفها بالحركة، وبالمناظر المتتابعة وبالحوار المتنوع، في حيوية فائضة يعجب الإنسان كيف تنقلها الألفاظ، حيث لا ينقلها للحس هكذا إلا المشاهدة)[1].

يبلغ عدد آيات الدعاء من الفريقين كليهما (تسعاً وعشرين) آية يدعو فيها أهل النار بالخلاص والنجاة وتخفيف العذاب أو الهلاك والعودة إلى الدنيا لعمل ما هو صالح ومرضٍ.

وثمة اثنتان وعشرون آية يدعو فيها أهل الجنة بالشكر والثناء الجميل والحمد لله الذي أنجز وعده.

ومعلوم أن دراسة هذه الأدعية كلها لا يستوعبها مبحث واحد، فوقع اختيار البحث على ثلاث آيات من أدعية أهل الجنة تشكّل ظاهرةً واحدة مشتركة وهي (الحمد لله) الذي وهبهم هذه النعم من خالص رحمته ومَنّه وإحسانه، وهذه الآيات تشكل محور دعاء أهل الجنة وخلاصة مشاعرهم.

ومن آيات أدعية أهل النار جاء اختيار ثلاث آيات أيضاً كونها تمثل أعمق آيات الدعاء وأكثرها حرقة وتلهفاً وهو طلبهم (الخروج) من النار، فدرست أدعية الفريقين صوتياً وتم استقراء البيانات المستندة إلى إحصائيات وضمنتها جداول

(1) في ظلال القرآن: 3/ 1288.

أفضت إلى نتائج ثبتت في موضعها، ونرى ضرورة التعريج على السياقات التي وردت فيها هذه الآيات لتتضح الرؤية أكثر، لأن السياق (يحدد معنى الوحدة الكلامية على مستويات ثلاثة متميزة في تحليل النص، فهو يحدد أولاً أية جملة تم نطقها... ثانياً أنه يخبرنا عادة أية قضية تم التعبير عنها... ثالثاً أنه يساعدنا على القول إن القضية تحت الدراسة قد تم التعبير عنها بموجب نوع معين من القوة اللاكلامية دون غيره)[1].

ومراجعة أقوال المفسرين والاطلاع على آرائهم وإشاراتهم إغناءٌ للبحث وتوسيعٌ لآفاقه وولوج إلى فهم كثير من الجوانب التي تتعلق بمسير البحث.

وقد جاءت هذه الآيات المختارة في المواضع الآتية:

في سورة الأعراف تحدث الباري عن المصير الحسن للمؤمنين الصالحين وبيّن أنهم أصحاب الجنة خالدين فيها، وأنه قد تم تطهير قلوبهم من الحسد والبغضاء فلا يكون بينهم إلا المحبة وتجري من تحت قصورهم أنهار الجنة فتلجلجت ألسنتهم بالشكر وفاضت قلوبهم بالعرفان لما منحهم الله من جزيل نعمه فقالوا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[2] (فهؤلاء هم الذين آمنوا وعملوا الصالحات قَدر استطاعتهم، لا يكلفون إلا طاقتهم، هؤلاء هم يعودون إلى جنّتهم، إنهم أصحابها بإذن الله وفضِله، ورَّثها لهم برحمته بعملهم الصالح مع الإيمان جزاء ما اتبعوا رُسُلَ الله وعصوا الشيطان، وجزاء ما أطاعوا أمر الله العظيم الرحيم، وعصوا وسوسة العدو اللئيم القديم)[3].

وفي سورة فاطر يتحدث (جلّ شأنه) عن طبقات عباده العلماء الذين أورثهم الكتاب وبين لنا أنهم انقسموا فرقاً ثلاثة (فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم

(1) اللغة والمعنى والسياق: 222.
(2) سورة الأعراف، الآية: 43.
(3) في ظلال القرآن: 3/ 1291.

سابق بالخيرات بإذن الله وأن هؤلاء من أمة محمد ﷺ)[1] بعد أن يمنَّ الله عليهم يُدخلهم جنات عدن ويزيّنون فيها بأساور من ذهب مُرصّعة باللؤلؤ ولباسهم من حرير، وعند دخول الجنة (يكشف المشهد عن نعيم مادي ملموس، ونعيم نفسي محسوس، فهم يُحلَّون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير، وذلك بعض المتاع ذي المظهر المادي الذي يلبي بعض رغائب النفوس وبجانبه ذلك الرضا وذلك الأمن وذلك الاطمئنان، فتنطق ألسنتهم بالشكر فيقولون: الحمدُ لله الذي أذهب عنا الحزن. . .)[2]، أي كل ما يكدر صفو الإنسان من قلق على المصير ومعاناة للأمور وخوف الموت وهول القيامة وغير ذلك، فناسب ذلك الخلاص حمد الله تعالى وشكره بما يليق بفضله ومنّه.

وفي سورة (الزمر) يذكر الخالق (جلّ جلاله) سوق المؤمنين جماعات مرتبة حسب درجات فضلهم إلى الجنة، فجاءوها وقد فتحت أبوابها، ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾[3] أي (من جميع المكاره والآلام)[4].

﴿فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾[5]، فلما رأوا هذا النعيم وذلك التكريم، قالوا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾[6]. أي (الحمد لله الذي صدقنا وعده بالبعث والحساب اليسير والدخول في الجنة وأورثنا أرض الجنة نتبوأ حيث شئنا منها)[7] فهنا تعلو (أصوات أهل الجنة بالتسبيح والتحميد - وقالوا الحمد لله. . . وكلمة (الحمد) ينطق بها كل حي وكل موجود في استسلام)[8].

(1) صفوة التفاسير: 2/ 577.
(2) في ظلال القرآن: 5/ 2945.
(3) سورة الزمر، الآية: 73.
(4) مواهب الرحمٰن: 6/ 527.
(5) سورة الزمر، الآية: 73.
(6) سورة الزمر، الآية: 74.
(7) مواهب الرحمٰن: 6/ 527.
(8) في ظلال القرآن: 5/ 3063.

هذا النعيم المقيم الذي يلقاه أهل الجنة يقابله شقاء وعذاب في الجحيم يصلاه أهل النار من الكفرة والعصاة والمجرمين فكان حالهم مختلفاً ودعاؤهم مغايراً بحسب تغير حالهم وسوء مآلهم، فينقل لنا القرآن حسراتهم واستغاثاتهم وصراخهم طالبين الخروج من النار أو تخفيف العذاب أو الهلاك الأبدي.

وقد ورد ذكر ذلك في ثلاث آيات جاء الدعاء فيها بصيغة أخرجنا وما اشتق منه، ففي سورة (المؤمنون) نسمع اعتراف أهل النار بجرمهم وذنبهم ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾﴾[1] (وهو اعتراف تتجلى فيه المرارة والشقوة)[2]. وفي قولهم: غلبت علينا شقوتنا نوع من أنواع الاعتذار فمعناه: (ملكتنا بحيث صارت أحوالنا مؤدية إلى سوء العاقبة، وكنا قوماً ضالين عن الحق)[3].

﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ أي (أخرجنا من النار فإن عدنا إلى التكذيب فإنا ظالمون لأنفسنا. ولكن كأنما هم قد تجاوزوا حدَّهم وأساؤوا أدبهم فلم يكن مأذوناً لهم في غير الإجابة على قدر السؤال)[4]، لذلك قيل لهم ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾[5]، أي: اسكتوا سكوت هوان، وهذا مستعار من (خسأت الكلب إذا طردته، لهذا فيه تشبيه لهم بالكلاب في الذل والهوان...)[6].

وفي سورة (فاطر) ينقل القرآن الكريم مشهداً يصور فيه حال الكفرة في جهنم فهم في حال (لا يُحكم عليهم بموت ثانٍ فيموتوا ويستريحوا. ولا يُخفف عنهم من عذابها و﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾[7] أي: يستغيثون، والاصطراخ افتعال

(1) سورة المؤمنون، الآيتان: 106، 107.
(2) في ظلال القرآن: 4/ 2481.
(3) البيضاوي: 4/ 60.
(4) في ظلال القرآن: 4/ 2481.
(5) سورة المؤمنون، الآية: 108.
(6) حاشية الشهاب على البيضاوي: 6/ 348.
(7) سورة فاطر، الآية: 37.

من الصراخ، استعمل في الاستغاثة لجهد المستغيث صوته)[1] يقولون: ﴿رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ﴾[2] (بإظهار القول وتقييد العمل الصالح بالوصف المذكور للتحسر على ما عملوه من غير الصالح والاعتراف به والإشعار بأن استخراجهم لتلافيه وأنهم كانوا يحسبونه صالحاً والآن تبيّن خلافه)[3]. فيصور طلبهم الندم الذي هم فيه، وتمنيهم بل رجاءهم الخروج من النار والعودة إلى الدنيا لعمل ما يرضي ربهم وتلافي ما هم فيه.

وفي سورة (غافر) نطالع أيضاً مصير المعاندين الضالين وحسرتهم على ما فرطوا في جنب الله، وكيف يكون حالهم وما يقعون فيه من الذل والهوان، وتصور الآيات اعترافهم وطلبهم الخروج والتماسهم الطريق إلى ذلك.

﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ﴾[4] (قيل: أرادوا بالإماتة الأولى خلقهم أمواتاً وبالثانية إماتتهم عند انقضاء أجلهم... وبالإحياءين الإحياء الأول وإحياء البعث)[5]، وفي قولهم (ربنا) إشارة واضحة إلى تذللهم فهي (كلمة الذليل اليائس البائس.. أحييتنا أول مرة فنفخت الروح في الموات فإذا هو حياة، وإذا نحن أحياء ثم أحييتنا الأخرى بعد موتنا فجئنا إليك... وقد اعترفنا بذنوبنا ﴿فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ﴾، (بهذا التنكير الموحي باللهفة واليأس المرير)[6]. وفي قولهم: (فهل إلى خروج من سبيل نوع استبعاد له واستشعار يأس منه)[7]. فمرارة الندم تلاحقهم والحسرة تطوقهم من كل جانب، فيرجون الخروج بأية وسيلة ولكن ذلك من المحال، فقد قضى الله تعالى ولا رادَّ لقضائه وما ربك بظلام للعبيد.

---

(1) تفسير أبي السعود: 5/ 284.
(2) سورة فاطر، الآية: 37.
(3) تفسير أبي السعود: 5/ 284.
(4) سورة غافر، الآية: 11.
(5) تفسير أبي السعود: 5/ 411.
(6) في ظلال القرآن: 5/ 3072.
(7) تفسير أبي السعود: 5/ 411.

هذه صورة أولية عن حال الفريقين (أهل الجنة وأهل النار)، والملاحظ أن الفريق الأول يدعو الله تعالى بالحمد والشكر وذلك بعدما يتراءى له نعيم الجنة فيشعر بحالة من الطمأنينة والثبات والاستقرار فتخرج ألفاظ دعائه من صميم قلبه شاكراً لله مثنياً عليه.

أما الفريق الثاني فإنهم بعدما يُبيّن لهم مصيرهم ويلاقون جزاءَهم ويمسهم لفح النار يضطربون ويتهافتون فتتعالى أصواتهم طالبين الخروج من النار، فكان دعاؤهم مركزاً على (الخروج) من النار معترفين بذنبهم متذللين إلى الله تعالى طالبين الفَرَج والخلاص.

وإن دراسة هذه الآيات صوتياً تكشف عن علاقة بين أصوات أدعيتهم وما هم فيه والوشيجة القائمة بينها وبين الحالة النفسية التي تحوطهم.

دراسة أدعية أهل الجنة صوتياً:

1 - قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾[1].

وَـ/ ق ـَـَ/ ل ـُ ل / ح ـَ م/ د ـُ/ ل ـِ ل/ ل ـَـَ/ هـ ـِ ل/ ل ـَ/

ص م/ ص م م/ ص م ص/ ص م ص/ ص م/ ص م ص/ ص م م/ ص م ص/ ص م /

ذ ـِـ /هـ ـَ/ د ـَـَ / ن ـَـَ / ل ـِ/هـ ـَـَ/ ذ ـَـَ.

ص م م/ ص م / ص م م/ ص م م/ ص م / ص م م/ ص م م.

a	u	i	aa	uu	ii	ق م	م م م	غ م م	م ط	H.v	M.v	L.v	ج	هـ
4	2	3	6	1	1	5	7	4	0	10	7	2	20	4

(1) سورة الأعراف، الآية: 43.

2 - قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾[1].

ء ـَ ل/ ح ـَ م /د ـُ/ ل ـِ ل/ ل ـــَـــ/ هـ ـِ ل/ل ـَ/ ذ ـــِـــ/ ء ـَ ذ/

ص م ص/ ص م ص/ ص م/ص م ص/ص م م/ ص م ص/ ص م / ص م م/ص م ص/

هـ ـَ/ب ـَ/ع ـَ ن/ ن ـَ ل/ ح ـَ/ز ـَ/ ن ـَ.

ص م / ص م /ص م ص/ ص م ص/ ص م/ ص م/ ص م.

هـ	ج	L.v	M.v	H.v	م ط	غ م م	م م م	ق م	ii	uu	aa	i	u	a
9	15	3	9	11	0	7	2	7	1	0	1	2	1	11

3 - قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾[2].

ء ـَ ل / ح ـَ م/ د ـُ/ ل ـِ ل/ل ـــَـــ/هـ ـِ ل /ل ـَ/ ذ ـــِـــ /ص ـَ/ د ـَ/

ص م ص/ ص م ص/ ص م/ ص م ص/ ص م/ ص م ص/ص م/ص م م/ ص م/ ص م/

ق ـَ/ ن ـــَـــ/ وَ ـَ ع/ د ـَ/هـ ـُ.

ص م / ص م م/ص م ص/ ص م/ ص م.

هـ	ج	L.v	M.v	H.v	م ط	غ م م	م م م	ق م	ii	uu	aa	i	u	a
4	16	2	10	8	0	5	3	8	1	1	2	2	2	8

دراسة أدعية أهل النار صوتياً:

1 - قال تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ﴾[3].

ر ـَ ب/ب ـَ/ن ـــَـــ /ء ـَ خ/ ر ـِ ج/ ن ـــَـــ/ م ـِ ن/هـ ـــَـــ/ف ـَ/

(1) سورة فاطر، الآية: 34.
(2) سورة الزمر، الآية: 74.
(3) سورة المؤمنون، الآية: 107.

ص م ص/ ص م /ص م م/ص م ص/ص م ص/ص م م/ص م ص/ ص م م/ ص م /

ء ـِ ن/ ع ـُ د / ن ـَـَـ/ف ـَ/ء ـِ ن/ ن ـَـَـ/ ظ ـَـَـ/ل ـِ/ م ـُـُـ/ن ـَ.

ص م ص/ص م ص/ص م م/ ص م /ص م ص/ص م م/ص م م/ص م /ص م م/ ص م.

هـ	ج	L.v	M.v	H.v	م ط	غ م م	م م م	ق م	ii	uu	aa	i	u	a
4	29	2	7	16	0	7	7	5	0	1	6	5	1	6

2 - قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾[1].

و ـَ/هـ ـُ م/ي ـَ ص/ط ـَ/ر ـِ/ خ ـُـُـ/ ن ـَ/ ف ـِـِـ/ هـ ـَـَـ/ ص م/ ص م ص/ ص م ص / ص م/ ص م / ص م م/ ص م / ص م م/ ص م م/

ر ـَ ب/ ب ـَ/ ن ـَـَـ/ ء ـَ خ/ ر ـِ ج/ ن ـَـَـ/ن ـَ ع/ م ـَ ل/ص ـَـَـ/ ص م ص/ ص م / ص م م/ص م ص/ص م ص/ص م م/ص م ص/ ص م ص/ص م م/

ل ـِ/ ح ـَ ن/ غ ـَ ي/ ر ـَ ل/ ل ـَ/ ذ ـِـِـ/ك ـُ ن/ ن ـَـَـ/ن ـَ ع/م ـَ/ ل ـُ

ص م / ص م ص/ ص م ص/ ص م ص/ ص م / ص م م/ص م ص/ ص م م/ص م ص/ ص م / ص م.

هـ	ج	L.v	M.v	H.v	م ط	غ م م	م م م	ق م	ii	uu	aa	i	u	a
9	43	7	15	25	0	12	8	9	4	2	4	3	3	15

(1) سورة فاطر، الآية: 37.

3 - قال تعالى: ﴿فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾[1].

ف ـَ/ هـ ـَ ل/ ء ـِ/ ل ـَـَـ / خ ـُ/ ر ـُـُـ/ ج ـِ ن/ م ـِ ن/ س ـَ/ ص م / ص م ص / ص م / ص م م/ ص م / ص م م/ ص م ص/ ص م ص/ ص م /

ب ـِـِـ/ ل ـِ ن.

ص م م/ ص م ص.

a	u	i	aa	uu	ii	ق م	م م م	غ م م	م ط	H.v	M.v	L.v	ج	هـ
3	1	4	1	1	1	4	2	4	0	10	6	1	13	4

(1) سورة غافر، الآية: 11.

ادعية أهل الجنة
(دراسة صوتية) صيغة (الحمد)

اسم السورة	رقم الآية	المصوتات القصيرة			المصوتات الطويلة			المقاطع				التنبذات			المجهورات والمهموسات		الملاحظات
		a	u	i	aa	uu	ii	م ف	م ف ف	م غ ف	م ط	H.v	M.v	L.v	ج	هـ	
الأعراف	43	4	2	3	6	1	1	5	7	4	0	10	7	2	20	4	1)غلبة المجهورات 2) غلبة المقاطع المتوسطة
فاطر	34	11	1	2	0	0	1	7	1	8	0	11	9	3	15	9	1) غلبة (a) 2) اختفاء (aa) و(uu) 3) غلبة المقاطع المتوسطة والمغلقة
الزمر	74	8	2	2	2	1	1	7	3	5	0	8	10	2	16	4	1) غلبة (a) 2) تساوي المصوتات الطويلة 3) غلبة الذباب المتوسطة

ادعية اهل النار
(دراسة صوتية) صيغة (اخرجنا)

الملاحظات	المجهورات والمهموسات		الذبذبات			المقاطع					المصوتات الطويلة			المصوتات القصيرة				رقم الآية	اسم السورة
	هـ	ج	L.v	M.v	H.v	م ط	م غ ف	م ف ف	م ف	م ق	ii	uu	aa	i	u	a			
1) غلبة المجهورات 2) قلة (u) 3) غلبة المقاطع المغلقة	4	29	2	7	16	0	7	7	5		0	1	6	5	1	6		107	المؤمنون
1) غلبة (a) 2) زيادة المقاطع المفتوحة 3) غلبة (V.H)	9	15	3	9	11	0	8	1	7		1	0	0	2	1	11		34	فاطر
1) تساوي المصوتات الطويلة 2) غلبة المقاطع القصيرة 3) غلبة (V.H)	4	16	2	10	8	0	5	3	7		1	1	2	2	2	8		74	غافر
المجموع	17	85	10	28	51	0	23	17	18		5	4	11	12	5	24			

تحيلنا الدراسة الصوتية لأدعية أهل الجنة وأهل النار إلى نتائج تومئ إلى دلالات نثبتها على هذا النحو:

أولاً - الدلالة الفونيمية:

ما نريد التركيز عليه هنا هو دعاء أهل الجنة بصيغة (الحمد لله) ودعاء أهل النار بصيغة (أخرجنا) لبيان صفات الفونيمات المشكلة لبنية الدعاءَيْن وما لها من وشائج بالحالة النفسية للداعين في المقامين، فطبيعة التباين في سمات الأصوات تعبر عن الانفعالات النفسية للمتكلم إذ إن اللغة (يجري استعمالها ضمن إطار اجتماعي وبيئة نفسية لا يمكن إغفالها)[1]، فنحن (عندما ننطق اللغة فإننا لا نتحدث بلهجة مملة واحدة، بل نرفع الصوت في بعض المواقع ونخفضه في مواقع أخرى، نشدد على نطق بعض الأصوات ونرخي الأخرى... كما نتكلم بسرعة في بعض الأحيان وببطء في أحيان أخرى، وتصاحب هذه الإشارات الصوتية كلامنا اليومي فتوضح ما نعنيه وتحور فيها نقوله أو تضيف معلومات جديدة لما قلناه لفظاً)[2].

ومن المعلوم أن إنتاج الكلام تسبقه مراحل أخرى فنحن لا ننطق الكلمة اعتباطاً بل بعد إعمال وتدبر في الذهن ودافع يدفع إلى نطق الكلمة أو الجملة حيث إن النظريات تتفق على (أن التخطيط للكلام يسبق الكلام عادة)[3]، ويمكن القول (إن مراحل التحضير المفاهيمي واختيار المفردات تتضمن اتخاذ القرار حول اختيار الكلمات التي يراد نطقها. وتتضمن المراحل اللاحقة وضع التفصيلات حول شكل الكلمة وتمثيلها الصوتي ونطقها)[4].

فالإبداع ذو ارتباط بالانفعال والتوتر النفسي أو الدافع الباعث على الكلام،

(1) علم نفس اللغة: 221.
(2) علم نفس اللغة: 235.
(3) علم نفس اللغة: 163.
(4) علم نفس اللغة: 169.

ويبدو أن الشعر هو الجنس الأدبي الذي يوحي بهذا الإحساس، فقد روي عن دعبل الخزاعي الشاعر أنه قال: (من أراد المديح فبالرغبة، ومن أراد الهجاء فبالبغضاء، ومن أراد التشبيب فبالشوق والعشق، ومن أراد المعاتبة فبالاستبطاء)[1]، وهذا يعني (أنه حصر الإبداع الشعري بالانفعالية والتوتر النفسي من طرب أو غضب أو نشوة أو رغبة)[2].

والعوامل النفسية تؤثر في البناء اللغوي، فيتغير الصوت تبعاً للحالة النفسية للمتكلم، فصوت الغضبان غير صوت المسترخي المنشرح وصوت الخائف المرتجف غير صوت الواثق الهادئ، فالفونيم الذي ينطقه المنهمك غير الذي يلفظه المسترخي، لأن النطق يحتاج إلى جهد عضلي تشترك فيه مجموعة من العضلات والأوتار والأعصاب، واختيار الفونيمات أيضاً له صلة بثقل الصوت وخفته، وبناء على هذا فإن النَّفْسَ (تنفر من بعض الحروف أو تحس بثقلها على اللسان عند النطق بها، وذلك للجهد العضلي الكبير نسبياً الذي يتطلبه النطق بها وإخراج أصواتها، بينما تأنس للبعض الآخر لخفته ويسر الجهد الذي يتطلبه النطق به)[3].

فالهمزة في اللغة العربية مثلاً (من أشق الحروف وأعسرها حين النطق، لأن مخرجها فتحة المزمار، ويحس المرء حين ينطق بها كأنه يختنق)[4].

فـ(صوت الهمزة يحتاج إلى مجهود عضلي للنطق به ولتيسير هذا المجهود يبدل به أحد الأصوات التي لا تستلزم مجهوداً عضلياً وهي أصوات المد واللين)[5].

وما نبغيه من هذا التقديم هو أن الدعاء في الآخرة يختلف عن الدعاء في

(1) العمدة: 1/ 122.
(2) الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية: 18.
(3) الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية: 51.
(4) موسيقى الشعر: 22.
(5) القراءات القرآنية بين الدرس الصوتي القديم والحديث: 47.

الدنيا فحالُ مَنْ شاهدَ مُبَايِنٌ لحال من سمع بأذنيه، وعِلْمُ اليقين صارَ عين اليقين ولم يبق مجالٌ لإنكار المنكرين، فاختلف الدعاء باختلاف الحالة النفسية للفريقين واختلفت فونيمات أدعيتهم تبعاً لذلك.

وبمقارنة الفونيمات في أدعية الفريقين يتجلى الفرق بينهما، فدعاء أهل الجنة يبدأ بحمد الله وأهل الحمد أول من يدخلون الجنة، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**أول من يدعى إلى الجنة يوم القيامة الحمّادون الذين يحمدون الله في السراء والضراء**»[1] فهم قد حمدوا الله في سراء الدنيا المجازي وضرائها الحقيقي فآن لهم أن يحمدوه في سراء الجنة الحقيقي الذي لا ضرّاء معه، بعد أن تخلصوا من أحزان الدنيا وهمومها وأخطار المحشر وأهواله وفظاعة النار وبشاعتها واجتياز الصراط.. إنها نعمة النجاة، وقد ألهمهم الله تعالى في هذا الموقف دعاءً مستجاباً إذ: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾[2] وإلهامهم هذا الدعاء في هذا الموقف الذي يلجم الألسنة ويُسقط القلوب هو علامة الاستجابة. فالدعاء هنا نعمة يمن بها الله عليهم تضاف إلى منة الله بالتكريم وبالنور وبالنجاة من العذاب الأليم[3]، فانتهى الشقاء وزال العناء وحَلَّ الهناء وطاب اللقاء فقالوا: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ﴾[4] فلاحظ كلمة (الحمد لله) وبروز فونيم الحاء الذي يحكي راحة النفس وتنفس الصعداء بعد النصب والقلق... إنه صوت الاطمئنان والقرار بعد اجتياز المحشر والنار. (هذا الحرف الرخو المهموس الذي يحدث مناظراً العين في المخرج من حيث إنه وسط الحلق مع اختلاف في الصفة إذ إن العين مجهور)[5] فيكون صوته (أشبه ما يكون بالحفيف... وهو

(1) مجمع الزوائد، رقم الحديث: 16883.
(2) سورة التحريم، الآية: 8.
(3) اليوم الآخر في ظلال القرآن: 237.
(4) سورة فاطر، الآية: 34.
(5) ينظر: فقه اللغة العربية: 182.

بحفيف النفس في أثناء خروج صوته في أعماق الحلق يرفد اللسان العربي بأعذب أصوات الدنيا قاطبة وأوحاها بمشاعر الحب والحنين)[1].

هذه الحرارة والعاطفة وهذا الحب الذي يفيض به فونيم الحاء أعطى كلمة الحمد حفيفاً ووقعاً وجرساً يلائم فحوى الكلمة ومرامها.

ثم تبعه فونيم الميم[2] (الشفوي الثنائي الذي يتم إنتاجه بقفل الشفتين مع إنزال الطبق اللين (ليسمح بالمرور من تجويف الأنف)[3] ويوصف بأنه أنفي (Nasal) و(انفراج الشفتين أثناء خروج الميم يمثل الأحداث التي يتم فيها التوسع والامتداد)[4]، فيوحي بتوسع الحمد وامتداده ليشمل ما أنعم به البارئ (جلَّ وعلا) على عباده في الجنة، وتلاه فونيم (الدال) اللثوي الأسناني، ويوصف بأنه انحباسي انفجاري مجهور، ويُعدُّ من الفونيمات ذوات الذبذبة المتوسطة التي تستعمل غالباً في أغراض المدح والوصف، وما الحمد إلّا ثناءٌ ومدحٌ ووصفٌ بالجميل، صحيح أن في الدال صلابةً ويبوسةً وشدّة تنبع من انفجار الدال، ولكن مجيء اللامات بعدها مباشرة في لفظ الجلالة بليونتها ومرونتها وإيقاعها خفف من صلابة الدال وشدة وقعها على الأذن، فصارت اللفظة بتمازجها مع لفظ الجلالة معبرة بجرسها عن الشكر والامتنان الذي يجيش في قلوب أهل الجنة فيطفح الحمد على ألسنتهم وتلهج بهذا الذكر والدعاء ألسنتهم. وحسن النغم في هذا الدعاء ملائم لحسن النعم في الجنة، وهذا الإيقاع المعبر (سمة من سمات النصوص الممتازة...، ولغة القرآن من هذه الزاوية لغة لها إيقاعها الذي يميزها داخل إطار النظام اللغوي العربي)[5] فجاء هذا الدعاء بإيقاعه وجرسه

(1) خصائص الحروف العربية: 484.

(2) يتوسط فونيم الحاء وفونيم الميم فونيم آخر هو الفتحة (a) ولكن بما أننا سنفرد فقرة خاصة لدلالات المصوتات القصيرة تجاوزناها هنا، ولقد فعلنا ذلك في المباحث السابقة أيضاً.

(3) دراسة الصوت اللغوي: 315، وينظر: أساسيات علم الكلام: 201.

(4) خصائص الحروف العربية ومعانيها: 72.

(5) مفهوم النص (دراسة في علوم القرآن): 157.

معبراً عن الحالة النفسية للداعين في الجنة (فالجو كله يسر وراحة ونعيم، والألفاظ مختارة لتتسق بجرسها وإيقاعها مع هذا الجو الحاني الرحيم)[1] (فإن لجرس اللفظة ووقع تناسج فونيماتها في السماع أثر في بعث الانفعال المناسب، فالإيقاع الداخلي للألفاظ والجو الموسيقي الذي يحدثه عند النطق بها يعد من أهم المنبهات المثيرة للانفعالات المناسبة، كما أن له إيحاءً خاصاً لدى مخيلة المتلقي على السواء)[2].

ولو انتقلنا إلى الجانب الآخر وألقينا نظرة على دعاء أهل النار بصيغة (أخرجنا) لتبين لنا الفرق بين نوع الدعاءين، فوقع الفونيمات هنا مختلف عما هناك وهذا بدهي لأن الجو والسياق اختلفا وتغيرا والحالة النفسية تبدلت فيتبع ذلك تبدّل وتنوّع في صدى الفونيمات وجرسها، فالانفعال هنا جاء من (اليأس والقنوط وفقدان الأمل والحماس - حالات غياب الدافعية - فيتملك الفرد ضيق وحزن أو حتى بكاء... فتضطرب الأجهزة الداخلية ويظهر ذلك في تغير سرعة دقات القلب وحركات التنفس وغير ذلك من مظاهر التعبير عن الانفعال)[3].

ولا يخفى (أن مادة الصوت هي مظهر الانفعال النفسي وأن هذا الانفعال إنما هو سبب في تنويع الصوت بما يخرجه فيه مداً أو غنةً أو ليناً أو شدةً... ثم هو يجعل الصوت إلى الإيجاز والاجتماع أو الإطناب والبسط بمقدار ما يكسبه من الحدة والارتفاع والاهتزاز وبعد المدى ونحوها مما هو بلاغة الصوت في لغة الموسيقى)[4] وجهنم - أعاذنا الله - بحرارتها وعذابها وحال الداعين بندمهم وشقائهم وتوجعهم الجسمي والنفسي مدعاة إلى الاصطراخ وطلب الخروج من النار فتتعالى أصواتهم طالبين النجاة: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾[5]، فيطرق أسماعنا صوت غليظ متحشرج (مختلط

(1) مشاهد القيامة: 117.
(2) الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية: 41.
(3) أسس علم النفس العام: 145.
(4) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: 183-184.
(5) سورة فاطر، الآية: 34.

الأصداء متناوح من شتى الأرجاء، إنه صوت المنبوذين في جهنم. . . وجرس اللفظ نفسه يلقي في الحس هذه المعاني جميعاً. . . ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾[1] إنه الإنابة والاعتراف والندم)[2].

فاستهلال طلبهم (أخرجنا) بالهمزة، فيه من معاني الشدة وتفجر حرقة الندم في أعماقهم (فإن المرء يحس حين ينطق الهمزة كأنه يختنق)[3]، يليها فونيم الخاء الطبقي الاحتكاكي الذي يوحي إطالة الصوت به بالاختناق أيضاً، ويحكي الفونيمان معاً (آخ) صوت الندم أيضاً لأنه صوت المتوجع جسمياً أو نفسياً! ويلاحظ كثرة ترديد الخاء في هذا السياق، فأهل النار ﴿يَصْطَرِخُونَ﴾ ويقولون: ﴿أَخْرِجْنَا﴾ فيقال: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟﴾[4] لأنكم اتخذتم المؤمنين ﴿سِخْرِيًّا﴾[5]، فبماذا يوحي فونيم (خ)؟

إذا لفظنا صوته بشيء من الشدة والخنخنة بعيداً عن جو الحلق أوحى بإحساس لمسي مخرّش رخو، وبطعم يمجه الذوق، . . . وبإحساس بصري منشاري الشكل وسمعي مخرب للصوت، وبمشاعر إنسانية (من الاشمئزاز والتقزز) وقد رجع أحد الباحثين إلى المعجم الوسيط فعثر على مئتين وخمسين مصدراً جذراً تبدأ بالخاء، فلاحظ أن ستين منها تدل معانيها على أمراض نفسية، وثلاثين منها تدل على أمراض جسدية، وتسعة عشر منها تدل على القذارة والبشاعة، وثلاثين تدل على الرخاوة والتفاهة والاضطراب. . . فاستنتج من ذلك أن هذا الفونيم خصص للدلالة على الرداءة والبشاعة، ويجيب على من يعترض بأنه هناك مفردات أنيقة تدخل فيها الخاء بأن ربة البيت قد تسهو فتلقي في سلة النفايات شيئاً نفيساً[6]! ولا أبشع من جهنم ولا أردأُ حالاً من حال أهلها،

(1) سورة فاطر، الآية: 37.
(2) مشاهد القيامة في القرآن: 117-118.
(3) موسيقى الشعر: 22.
(4) سورة المؤمنون، الآية: 108.
(5) سورة المؤمنون، الآية: 110.
(6) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها: 174-176.

فناسب ظهور الخاء في كلامهم حالهم ومقامهم، ومجيء فونيم (الراء) بعد ذلك بخاصية التكرير التي فيها توحي بتكرر الطلب والإلحاح في الدعاء، ثم فونيم (الجيم) بجهره وانفجاره وقلقلته يكسب اللفظ جهراً ودوياً يناسب حال صراخهم واستغاثتهم. ثم (النون) بغنتها وإطلاق الألف بعدها تضفي على المفردة هذه الدلالات كلها.

وهكذا تُعبر الكلمةُ بتشَكُّل فونيماتها وتناضدها على فحواها ومغزاها وهذا يتأتى من الربط بين اللفظ والمعنى الذي استشعره أهل اللغة وكادوا يجمعون عليه، يقول الإمام السيوطي: (وأما أهل اللغة والعربية فقد كادوا يطبقون على ثبوت المناسبة بين الألفاظ والمعاني)[1].

فالكلمات تتمتع بقوة خفية غامضة، . . . بل (إن بعض الكلمات المستعملة في الحياة اليومية العادية قد يكتسب نغمة عاطفية قوية غير متوقعة في المواقف الانفعالية)[2].

فإذا كانت الفونيمات منفردة قادرة على التعبير عن جزء من أجزاء المعنى فإنها مجتمعة في (كلمة) أكثر اقتداراً على إيصاله ووصف الحال، (فإن الكلمة ليست عند العرب مجرد إشارة منفصلة عما تشير إليه، بل هي منذ القديم مرتبطة بنظام معياري معين، وربما ينزاح عن تلك المعيارية إلى اتجاهات بلاغية مثيرة)[3] وهذا الحال أكثر جلاءً في الخطاب القرآني فقد (توافرت فيه طائفة من الألفاظ الدقيقة عند إطلاقها وتتميز هذه الدقة بكون اللفظ يدل على الصوت، والصوت يتجلى فيه ذات اللفظ، بحيث يستخرج الصوت من الكلمة وتؤخذ الكلمة منه، وهذا من باب مصاقبة الألفاظ للمعاني بما يشكل أصواتها فتكون أصوات الحروف على سمت الأحداث التي يراد التعبير عنها)[4].

وقد لاحظنا الفرق بين فونيمات دعاء أهل الجنة وأهل النار فاختلفت

(1) المزهر: 1/ 47-48.
(2) دور الكلمة اللغة: 50.
(3) في جمالية الكلمة: 14.
(4) الصوت اللغوي في القرآن الكريم: 185.

أدعيتهم لتغير حالتهم النفسية وتبدل السياق والغرض فتشكلت من أصواتهم (صورتان متقابلتان: صورة الأمن والراحة، تقابلها صورة القلق والاضطراب، ونغمة الشكر والدعاء، تقابلها ضجة الاصطراخ والنداء، ومظهر العناية والتكريم يقابله مظهر الإهمال والتأنيب، والجرس اللّين والإيقاع الرتيب يقابلهما الجرس الغليظ والإيقاع العنيف، فيتم التقابل ويتم التناسق في الجزئيات وفي الكليات سواء)[1]، هذا الاستنتاج جاء من اعتماد القيمة التعبيرية للفونيمات أو (رمزية الصوت) التي قال بها كثير من القدامى والمحدثين، مثل التيار (الكراتيلي - الطبيعي) الذي كان يرى أن أصوات اللغة تمتلك تعبيراً ذاتياً، وابنِ جني الذي برهن على دعواه في عدة أبواب من كتابه (الخصائص).

ومجمل الأمر (أن للأصوات قيمة تعبيرية تأتيها من خصائصها الفيزيائية الطبيعية والأكوستيكية السمعية)[2].

وهذا من مؤشرات سعة لغة الخطاب القرآني وسمو مرتبته وعلو بلاغته وقوّة إعجازه.

ثانياً: دلالة المصوتات:

لقد أشرنا إلى أن للفونيمات وظيفة دلالية لا يمكن إغفالها فلكل فونيم قيمة دلالية، وفي هذا الجانب (تتميز لغة القرآن بالتلاؤم بين الأصوات، سواء أكان ذلك على مستوى اللفظة المفردة أمْ على مستوى النظام اللغوي)[3] وتسهم العناصر اللغوية (في تنوع البناء الأسلوبي بحسب طبيعتها، فالأصوات والوحدات الصوتية مثلاً تؤدي دوراً فاعلاً في بناء الألفاظ صوتياً، وهي مسؤولة عنه على نحو تظهر فيه سمات وخصائص صوتية، أسلوبية)[4]، وقد عُدَّ المستوى

(1) مشاهد القيامة في القرآن: 118.
(2) تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص): 35.
(3) من صور الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم: 75.
(4) الأسلوبية اللسانية: 136-137.

الصوتي الفاصل بين الشعر واللاشعر فإن (التنميط الصوتي المنظم بطريقة خاصة هو البعد الشعري الذي يفصل بأقصى درجات الوضوح الشعر عن اللاشعر. ومن بين كل المستويات البنيوية للغة يعتبر المستوى الصوتي أكثرها فهماً)[1]، وهذا (التنميط) الصوتي يشمل الفونيمات كلها، والمصوتات القصيرة والطويلة لها شأنها في هذا الجانب، فهي تؤدي وظائف دلالية لا يمكن تجاهلها في البحث الصوتي.وقد لاحظنا في أدعية أهل الجنة وأهل النار أن نسبة المصوتات (القصيرة والطويلة) - ما عدا الفتحة a - كانت أكثر في أدعية أهل النار[2]، ولعل ذلك يعزى إلى (أن أصوات المد تمتلك قوة إسماع عالية، تفوق قوة إسماع الصوامت بكثير... ثم الوضع التشريحي الحر لأصوات المد وعدم وجود احتكاك في أثناء الأداء جعل من أصوات المد وسيلة لربط سلسلة من الصوامت في أثناء الكلام، وهذا يعني أن أصوات المد تقوم بتجميع الصوامت بعضها مع بعض لتأليف الكلام أولاً، ثم تقوم بإعطائها قوة على الإسماع)[3]. والاصطراخ في دعاء أهل النار وارتفاع أصواتهم بطلب الخروج يناسبه ظهور أصوات المد في دعائهم، وأن درجة الطول في الألف في ﴿أَخْرِجْنَا﴾ تعبّر عن طول صراخهم (فإن العربية جعلت من درجة الطول في صوت المد ملمحاً تمييزياً)[4] ومن هذا القبيل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾﴾[5] (فإن هاء الضمير في (فيه) هنا تُمد كحال مد الصلة وإن لم تكن قاعدة مد الصلة كائنة فيها، إذ يشترط في مد الصلة أن يكون ما قبل الضمير متحركاً غير ساكن.. مثل (لَهُ، عندَهُ، بِهِ)، ولكن كلمة (فيهِ) مُدّتْ مد صلة لما في ذلك من تعبير ذي جرس نغمي يتضح به المعنى الكامن في العبارة القرآنية الكريمة)[6] أي إن معنى (يخلد) لما فيه من طول

(1) دراسة يوري لوتمان البنيوية للشعر: 154.
(2) الجدول: 165.
(3) في الأصوات اللغوية: 45.
(4) في الأصوات اللغوية: 223.
(5) سورة الفرقان، الآيتان: 68، 69.
(6) قواعد التجويد والإلقاء الصوتي: 393.

الزمان وعدم انقضائه ناسبه مد الهاء في (فيه) ليتناسب وهذا المعنى، وتوصف المصوتات بأنها هيجانية انفعالية ولا هيجان أعظم من هيجان أهل النار ولا انفعال أكبر من انفعالهم، فتغليب المصوتات في أدعيتهم ملائم لانفعالهم وهيجانهم. (فإن الخاصية الأساسية للنطق بالصوائت أنه نطق مفتوح في مقابل تميز الصوامت بالنطق الضيق، وهذا يعني انعدام كافة أشكال الاعتراضات والعقبات لتيار الهواء في فراغ الفم أثناء النطق بالصوائت)[1] وهذا يناسب وضع أهل النار فهم لفرط ألَمِهِمْ تخرج أصواتهم من أعماقهم لا يعترضها شيء أو أنهم لا قدرة لهم على اعتراضها، فأصواتهم ما هي إلا آهات وزفرات تعبر عن بؤسهم وشقائهم (فنحن نعرف أن سلسلة أفعال الأصوات هي بمثابة أساس للمعنى)[2]. أما الفتحة (a) التي أشرنا إلى أنها غالبة في أدعية أهل الجنة فإن لذلك ما يسوغه، فالفتحة غالباً ما تظهر في أغراض المدح، وأهل الجنة إنما يمدحون الخالق (جلّ وعلا) ويحمدونه ويثنون عليه ويشكرونه على تكريمه لهم، فهذا المقام مقام ظهور (الفتح)، فانظر إلى توالي الفتحات في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾[3] كيف تورث ألفاظه بفتحاته انشراحاً في النفس وراحة بعد نَصَبٍ وقلقٍ على المصير (فالقرآن الكريم دقيق في وضع الألفاظ ورصفها بجنب بعض دقة عجيبة)[4]، فرصف الألفاظ وتواشج الفونيمات ونتائج الإحصاء كلها تنصب في مسير واحد هو روعة البيان القرآني ودقة نظمه وإعجازه.

ثالثاً: الدلالة المقطعية:

لقد لاحظنا المقاطع الكلامية في أدعية أهل الجنة وأهل النار فتبين لنا أن المقاطع القصيرة في أدعية أهل الجنة تغلب نسبتها مقاطع أدعية أهل النار،

(1) دراسة السمع والكلام: 235-237.
(2) ست محاضرات في الصوت والمعنى: 54.
(3) سورة فاطر، الآية: 34.
(4) التعبير القرآني: 51.

فكانت نسبتها (19 - 18) تسعة عشر مقطعاً في كلام أهل الجنة مقابل ثمانية عشر مقطعاً في كلام أهل النار.

أما المقاطع المتوسطة فكانت نسبتها أعلى في أدعية أهل النار فكانت (40 - 28) أربعين مقطعاً في أدعية أهل النار مقابل ثمانية وعشرين مقطعاً في أدعية أهل الجنة.

ومن خلال تعريفات المقطع، التي أشرنا إليها فيما مضى يتأكد (الدور العضوي في إنتاج المقطع الصوتي، ومعلوم أن إنتاج الفونيمات، عملية تبدأ بإخراج الهواء من الرئتين، واعتراض أعضاء النطق المختلفة طريق الهواء، وليس إخراج الهواء عملية عضوية، تستمر قوتها دون اختلاف، بل إن ضغط الهواء يتفاوت مع جزء من أجزاء الحدث اللغوي إلى جزء آخر)[1] وهذه العملية العضوية التي تنتج عنها المقاطع الصوتية ليست بمنأى عن الحالة النفسية، فإن الانفعال النفسي يؤثر في عملية التنفس وإخراج الزفير الذي تتولد عنه المقاطع، وملاحظة هذه المقاطع في البيان القرآني تكشف عن جانب كبير من الإعجاز الصوتي، ويمكن ملاحظة ذلك بصورة جلية في الفواصل القرآنية التي تنتهي بها آيات القرآن (فما هي إلا صور تامة للأبعاد التي تنتهي بها جمل الموسيقى، وهي متفقة مع آياتها في قرار الصوت اتفاقاً عجيباً يلائم نوع الصوت والوجه الذي يساق عليه بما ليس وراءه في العجب مذهب، وتراها أكثر ما تنتهي بالنون والميم وهما الحرفان الطبيعيان في الموسيقى نفسها... أو بالمد وهو كذلك طبيعي في القرآن، فإن لم تنته بواحدة من هذه كأن انتهت بسكون من الحروف الأخرى كان ذلك متابعة لصوت الجملة وتقطيع كلماتها...)[2] وقد أشرنا إلى الحالة النفسية وأثرها في دعاء أهل الجنة وأهل النار ويتضح ذلك أيضاً في مقاطع كلامهم فقد ارتفعت فيها نسبة المقاطع المتوسطة المغلقة، وهي تشير إلى حالة انقباضهم النفسي، فإن هذا النوع من المقاطع يتعمل غالباً في مناسبات

(1) علم الأصوات: 149.

(2) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: 184-185.

الرثاء والبكاء على الأطلال. فهم هنا يَرْثُون حالهم ويندبون حظهم ويصرخون بتلهف طالبين النجاة. وهذا من أسلوب القرآن الذي تميز بخصائص وسمات منها الفخامة والقوة والجلال يكتسبها القرآن من انتقاء الألفاظ، ومنها التصوير (إذ إن القرآن كثيراً ما ينقل الحوار ويحكي نص القول بعثاً للحياة في الأسلوب، ومنها الانسجام الموسيقي في حروفه ومقاطعه الذي فيه تؤلف العبارة من كلمات متسقة ذات حركات وسكنات يشعر المرء عند تلاوتها بما يكمن وراءها من النظام في موسيقى واتساق)[1] وكلمة ﴿أَخْرِجْنَا﴾ بمقاطعها تصور عذابهم فإن المقطع الأول (أ ـَ خ) يحكي توجعهم وندمهم، والمقطع الأخير (ن ـَـَ) يحكي صراخهم ورفعهم الصوت بندب حظهم وسوء مآلهم، والحق أن من خصائص القرآن أيضاً هو (تصوير الحال بالكلمة المفردة، فالجديد في لغة القرآن هو أنه في كل شأن في شؤون التعبير يتخير له أشرف الألفاظ، وأقربها دلالة على المعنى، وبعض الألفاظ في القرآن تستقل بنفسها في تصوير المعنى، وهذا يعد من الخصائص الجليلة التي انفرد بها أسلوب القرآن.. ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ﴾[3] فلفظة (كبكبوا) ولفظة (مزحزحه) ترسمان صورة متخيلة فيها الحركة للفعل الحادث مع الكفار في يوم القيامة)[4]، وقد لمحنا في أدعية أهل الجنة كثرة المقاطع القصيرة المفتوحة، والمقاطع المفتوحة تناسب حالهم، فإن المقاطع القصيرة المفتوحة تنتج بجهد أقل، ولأن الجنة لا نصب فيها ولا تعب، فأهلها في كلامهم أيضاً لا يصيبهم نصب ولا تعب ولا إرهاق، وقانون الجهد الأقل أو (جهد المقل Low of Less Effort يعتمد مبدأ السهولة وصولاً إلى الاقتصاد في اللفظ والتوسيع في الدلالة، وهو يدل على مستوى من التطور الدلالي للغة العربية بعد اقترانها بالنص القرآني، وقد أكد كثيرٌ من الدارسين

(1) مناهج وآراء في لغة القرآن: 13.
(2) سورة الشعراء، الآية: 94.
(3) سورة البقرة، الآية: 96.
(4) طرق العرض في القرآن (الأهداف والخصائص الأسلوبية): 62.

المحدثين أهمية هذا المبحث، فقد ذهب (O. jespersen) إلى أن (هذا التطور يتم باتجاه التبسيط بحيث تصل اللغة عبر مراحل متعددة إلى حال تكون فيها أقصى فعالية عبر أدنى مجهود)[1]، وقد تقاربت دلالة المقاطع مع دلالة الفونيمات في رسم صورة دعاء أهل الجنة وأهل النار وبيان حالهم ومآلهم كما اتضح من الدراسة التي أجريناها هنا وهناك.

رابعاً: دلالة الذبذبات:

تتباين فونيمات اللغة من حيث (الذبذبات) وإن رصد ذبذبات الفونيمات داخل الوحدة الكلامية يعين الباحث على الوقوف عند دلالات تكشف عن بعض المضامين إلى جانب إضفاء جمال إيقاعي، والمقصود بجماليات التكوين الصوتي: (أن يكون نسيج الأصوات في الكلام مستحسناً أو على الأقل مقبولاً، لا ثقل فيه على اللسان ولا تنافر في الآذان)[2] هذا الجمال يتأتى من ذبذبات الأصوات فهي التي تنقل على شكل سلسلة كلامية إلى الأذن، فتكوّن في النفس صدًى مريحاً أو واقعاً مزعجاً. إن ما قام به البحث هو دراسة صوتية إحصائية لذبذبات فونيمات أدعية أهل الجنة وأهل النار، فوقف المبحث الخاص بذلك على جملة حقائق يمكن إجمالها على هذا النحو:

1 - غلبة الذبذبات العالية في أدعية أهل النار إذ بلغت (51 - 26) إحدى وخمسين ذبذبة عالية في دعاء أهل النار مقابل ست وعشرين ذبذبة في دعاء أهل الجنة.

2 - تقارب الذبذبات المتوسطة (28 - 26) ثماني وعشرون ذبذبة في أدعية أهل النار مقابل ستٍ وعشرين ذبذبة متوسطة في أدعية أهل الجنة.

3 - غلبة الذبذبات الواطئة في أدعية أهل النار (10 - 7) عشر ذبذبات هابطة في أدعية أهل النار مقابل سبع ذبذبات في أدعية أهل الجنة.

---

(1) النقد والإعجاز: 22.

(2) جماليات الصوت اللغوي: 9.

وبما (أن صوت الإنسان ككل الأصوات ينشأ من ذبذبات مصدرها في الغالب الحنجرة لدى الإنسان)[1] فإن دراسة هذه الذبذبات مهم جداً في فهم دلالة الكلمات التي تشكلت منها (لأن درجة الصوت تتوقف على عدد الاهتزازات في الثانية، فإذا زادت الاهتزازات أو الذبذبات على عدد خاص ازداد الصوت حدة، وبذلك تختلف درجته، وعدد الاهتزازات (الذبذبات) في الثانية يسمى في الاصطلاح الصوتي (التردد)، فالصوت العميق عدد اهتزازاته في الثانية أقل من الصوت الحاد)[2]، وقد مثل لذلك ابن جني بوتر العود وما ينشأ عنه من أصوات عند حصره أو عدم حصره، فقال (ونظير ذلك أيضاً وتر العود فإن حَصَرَ آخرَ الوتر ببعض أصابع يسراه أدى صوتاً آخر، فإن أدناها قليلاً سمعت غير الاثنين، ثم كذلك كلما أدنى إصبعه من أول الوتر تشكلت لك أصداء مختلفة إلا أن الصوت الذي يؤديه الوتر غفلاً غير محصور تجده بالإضافة إلى ما أدّاه وهو مضغوط محصور أملس مهتزاً، ويختل ذلك بقدر قوّة الوتر وصلابته، وضعفه ورخاوته، فالوتر في هذا التمثيل كالحلق.. وجريان الصوت فيه غفلاً غير محصور كجريان الصوت في الألف الساكنة وما يعترضه من الضغط والحصر بالأصابع كالذي يعرض للصوت في مخارج الحروف من المقاطع واختلاف الأصوات هناك كاختلافهما هنا)[3]، وإن اللجوء إلى الذبذبات العالية (ذات التردد العالي) غالباً ما يكون لإيصال الصوت إلى مديات بعيدة، وذلك لما تمتاز به هذه الفونيمات التي تحمل هذه الخصيصة من قوة إسماع عالية قد تعادل أحياناً قوة إسماع (المصوتات) (فاللام والميم والنون والراء) تمتاز بذبذبات عالية، وقد وجدنا أن نسبتها تزداد في أدعية أهل النار: ﴿أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾[4]، ويعزى ذلك إلى الحالة النفسية للداعين في جهنم،

(1) علم اللغة: 48.
(2) ينظر: أصوات اللغة: 102.
(3) سر صناعة الإعراب: 1/ 22.
(4) سورة فاطر، الآية: 37.

فهم يرفعون أصواتهم طالبين الفَرَج والخروج من النار، وهذه الفونيمات تتلاءم وهذا الغرض، فالمطلوب في دعائهم هو رفع الصوت بالاستغاثة، ثم ختم طلبهم بالألف في قولهم (أخرجنا) والألف يقال له: (الهاوي)، ويقال له: الجرسي لأنه صوت لا معتمد له في الحلق، والجرس الصوت، وهو (حرف اتسع مخرجه لهواء الصوت أشد من اتساع مخرج الواو والياء لأنك تضم شفتيك في الواو وترفع لسانك إلى الحنك في الياء)[1]، وقد كشفت دراسة أجراها الدكتور (محمد حسين علي الصغير) (عن طائفة من الألفاظ التي استعملها القرآن، تم اختبارها صوتياً بما يتناسب مع أصواتها في السمع أو النفس أو الخارج، واستوحى دلالتها من جنس صياغتها، فكانت دالة على ذاتها في الفزع والاشتباك والخصام والعنف)[2]، فيمكن أن تدل الذبذبات بما توحيها من أصداء في السمع والأذن على بعض الدلالات، وقد تبين أن الذبذبات العالية في أدعية أهل النار أوحت بشدة حالهم وضيق صدورهم وتعالي أصواتهم بالصراخ والعويل وهم يطلبون الخروج من النار.

خامساً - دلالة الجهر والهمس:

تبين من خلال الدراسة الصوتية لأدعية أهل الجنة وأهل النار أن المهموسات تتطابق عددياً في أدعية الفريقين فقد ظهرت (17) سبع عشرة مرة في كل من صيغتي (الحمد لله) و(أخرجنا)، ولكن اختلف عدد المجهورات ففي حين برزت (85) خمساً وثمانين مرة في صيغة (أخرجنا)، لم تظهر غير (51) إحدى وخمسين مرة في صيغة (الحمد لله)، وهذا يتوافق مع ما أفرزته النتائج الصوتية الأخرى، فإن الذبذبات العالية كانت أكثر في دعاء أهل النار، وكذلك المقاطع المغلقة، لأنهم في حرج من أمرهم بل هم في أشد حالات الضيق والعذاب، فكما كان ذلك سبباً لاختيار الذبذبات العالية والمقاطع المغلقة فإنه

(1) شرح المفصل: 501.

(2) الصوت اللغوي في القرآن: 202.

يكون كذلك في اختيار المجهورات بكثرة في أدعيتهم، فهم يصْطرخون فيها، والاصطراخ يعني رفع الصوت ومن لوازمه الجهر الذي يعلو الصوت به، وقد (أجمع علماء الأصوات على أن الأحرف المهموسة تحتاج للنطق بها إلى قدر أكبر من هواء الرئتين مما تتطلبه نظائرها المجهورة، فالأحرف المهموسة مُجْهدة للنَّفَس)[1]، وأهل النار لا طاقة لهم لأن النار ودخانها قطعت أنفاسهم فنطْقُ المجهور أسهل عليهم من المهموس فأكثروا الأولَ وأقلوا الثاني.

والمجهورات (لها خصائص أكوستيكية أقوى من أية مجموعة أخرى من السواكن وهي تشبه في هذه الخصائص الأكوستيكية الحركات)[2]، فأهل النار اختاروا ما يلائم حالهم لإيصال الدعاء، أما أهل الجنة وهم في غرف عالية بين أنهار الجنة وأشجارها، فلا نصب ولا تعب يصيبهم، وهذا الحال يثير فيهم الانفعال الإيجابي للشكر والدعاء بصيغة الحمد لله (فالماء الجاري ومنظر الطبيعة من خلال الشرف العالي، مما يساعد على انبساط النفس وانشراحها وإطرابها، فيكون عاملاً من عوامل بعث الانفعال المناسب فيها)[3]، هذا الانفعال يدفعهم إلى الجهر بالشكر ورفع الأصوات بصيغة (الحمد لله) فكانت نسبة المجهورات في دعائهم أكثر من المهموسات كما تبين في الدراسة الصوتية.

(1) موسيقى الشعر: 39.

(2) التشكيل الصوتي: 58-59.

(3) الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية: 22.

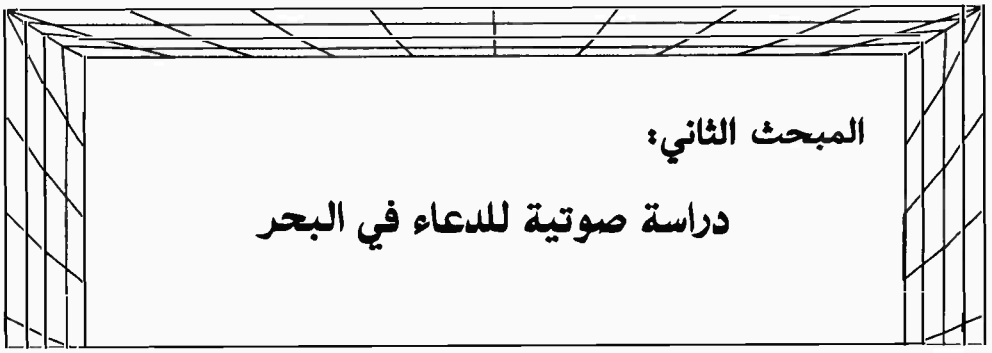

المبحث الثاني:

دراسة صوتية للدعاء في البحر

بعد مراجعة القرآن الكريم وتتبع آياته المباركة لوحظ نوع من الدعاء يشكل ظاهرة تستدعي الوقوف عندها وتأملها ودراستها، وهو دعاء العباد في البحار، حين يستشعرون الخطر وهم على ظهور سفنهم تتقاذفهم الأمواج المتلاطمة التي وصفها الله سبحانه وتعالى بأنها كالجبال في العلو والهيبة، والرياح تعصف بهم من كل جانب فيوقنون الهلاك، هنا يرجع الإنسان إلى الفطرة السليمة: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾[1] وهي الإيمان بخالق الأكوان وبقدرته وبأنه وحده المغيث الذي بيده مقاليد السموات والأرض وأنه هو المنجي من كل كرب عظيم.

في هذا الجو المخيف، يكون التوتر العصبي على أشده، والحالة النفسية للداعين تبلغ أقصى مداها من الجذب والهيجان، فيتعالى الهتاف بالدعاء: ﴿لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[2] يستوي في هذا التضرع المؤمن وغيره، فإن الستار الذي يغطي به الكافر عقله ويتعامى عن إبصار الحق وانفراد الله بالألوهية يتمزق ويزول، فيلجأ إلى الله تعالى وحده طالباً الخلاص والنجاة من الغرق والهلكة.

والملاحظ هنا صدق الدعاء وبعده عن التصنّع والرياء، فهو دعاء يملأ القلب والوجدان فيطفو على اللسان في أصدق تعبير وأجمل بيان.

(1) سورة الروم، الآية: 30.
(2) سورة يونس، الآية: 22.

هكذا وصف الله سبحانه دعاءهم، فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[1]، فقوله تعالى ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ وصف يتكرر عدة مرات في دعاء البحر وهو يعني (مخلصين له الدعاء) لا يشركون غير الله في طلب المعونة والخلاص.

والأدعية الأخرى التي صيغت في البحر هي الآتية:

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[2].

قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾[3].

قال تعالى: ﴿فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[4].

وقد ورد الدعاء في مواطن أخرى لكنه إما كان تعليماً للعباد كيف يدعون عند ركوبهم الفلك كقوله تعالى: ﴿فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[5] وكقوله أيضاً: ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾[6] وإما حكاية لحال الداعين في الفلك، كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾[7]، وكقوله تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾[8].

---

(1) سورة يونس، الآية: 22.
(2) سورة يونس، الآية: 90.
(3) سورة هود، الآية: 45.
(4) سورة الأنبياء، الآية: 87.
(5) سورة المؤمنون، الآية: 28.
(6) سورة المؤمنون، الآية: 29.
(7) سورة العنكبوت، الآية: 65.
(8) سورة لقمان، الآية: 32.

ويلاحظ (أن مصطلح (البحر) يوازن (البر) ويطابقه في المعنى فضلاً عن تجانسهما في حرفي الباء والراء)[1]، وقد ورد بصيغة المفرد للدلالة على مياه البحار في حال الحياة الدنيا، وعندما ورد بصيغة الجمع اختلفت دلالته،(فقد جاء مرتين بهذه الصيغة، الأولى في سورة التكوير، حيث قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾[2] والثانية في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾[3] فجاءت كلمة البحار للحديث عن يوم القيامة، ونلاحظ تسلسل الآيتين في القرآن يتناسب مع المفهوم العلمي فأولاً يكون الاشتعال ثم الانفجار، فأولاً (سُجِّرَتْ) وثانياً (فُجِّرَتْ) وهذا مطابق للحقائق العلمية الحديثة)[4]، هذه الدقة في التعبير القرآني تنبه الدارس إلى التروي في البحث والتقصّي عن مدلولات الألفاظ وخفايا إشارات الكلمات ودور الفونيمات في البيان والكشف عن المعاني ولا ننسى ما للسياق من أثر في تجلية الجوانب الخفية من دلالات النص، ففي الآية الأولى يتحدثُ الباري (جلَّ وعلا) عن نعمة جليلة من جُملة نِعَمِهِ التي لا تحصى وهي التسيير في البر والبحر قال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾[5] أي: (يحملكم على السير ويمكنكم منه)[6]، والملاحظ أن التسيير لم يقيّد بوسيلة من وسائل السير، بل عُمّم ليشمل ما كان في عصر نزول القرآن من دواب وسفن وما يكون اليوم ومستقبلاً من سيارات وطيارات وباخرات وغيرها، فهذا من إعجاز القرآن الغيبي، (فإن آيات القرآن الكريم نزلت تخاطبنا في عصرنا الحالي والعصور المستقبلة، ولم تخاطب الناس قبل عصرنا هذا وحدهم)[7].

ومن ينكر هذه النعمة الجليلة فإنه يستحق التوبيخ والتقريع، ولذا عدل

(1) المكونات الصوتية للإيقاع وأنماطه في الشعر والنثر: 168.
(2) سورة التكوير، الآية: 6.
(3) سورة الانفطار، الآية: 3.
(4) التناسق البياني لكلمات القرآن الكريم، من الإنترنت (دون ترقيم).
(5) سورة يونس، الآية: 22.
(6) تفسير البيضاوي: 2/ 493.
(7) تفسير البيضاوي: 2/ 493.

سبحانه وتعالى عن الخطاب إلى الغيبة في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم﴾ فكأن الله تعالى (يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعي منهم الإنكار والتقبيح)[1] وجريان الفلك إنما يكون بالريح الطيبة (التي تسمى اليوم بالرياح المعتدلة ويكون متوسط سرعتها من (1 - 3) إلى (19 - 24) ميلاً في الساعة)[2] وهذا الوصف في الرياح هو المطابق علمياً لمستوى سرعة الرياح التي تُسيّر السفن ولو زادت عن هذا الحد قلبت الفلك ولو نقصت عنه ما صلحت لتحريكها، وعندما يكون الحال هكذا يشعر أهل الفلك بالفرح والسرور، فلا شيء ينغّصُ سفرهم، ولكن الله يريد أن يمتحنهم فيرسل ريحاً عاصفاً ﴿جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ﴾، والريح العاصف يبلغ متوسط سرعتها (32 - 38) ميلاً في الساعة)[3]، ﴿وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾، وظنوا أنهم مهلكون، فيدعون الله مخلصين له الدعاء (من غير إشراك به لأنهم لا يدعون حينئذ معه غيره)[4] يقولون: لئن أنجيتنا من هذه الأهوال لنكونن من الشاكرين لنعمتك مؤمنين بك متمسكين بطاعتك، فالرجوع إلى الفطرة وزوال عوارض الإشراك وشدة الخوف تحمل على صدق الالتجاء والإخلاص في الدعاء، وفي موطن آخر تحدث الباري (جلَّ شأنُه) عن جبروت فرعون وطغيانه ثم هلاكه بالغرق وندمه عند تيقنه الموت واستغاثته بالله تعالى للنجاة، فقال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾[5]، وكان ذلك بعد أن دعا عليه سيدُنا موسى عليه السلام واستجاب الله تعالى دعاءه فأغرق عدوه في اليمّ، قال ابن كثير: (دعوة موسى على فرعون كانت غضباً لله ولدينه كما دعا نوح على قومه، ولهذا استجاب الله لموسى دعوته التي شاركه فيها أخوه هارون كما استجاب دعوة نوح عليه السلام)[6].

وقد بلغ فرعون حداً من العناد والكفر منعه من ذكر اسم الله تعالى في أحرج

(1) تفسير الكشاف: 2/ 231.
(2) هامش تفسير البيضاوي: 2/ 495.
(3) هامش تفسير البيضاوي: 2/ 495.
(4) تفسير النسفي: 468.
(5) سورة يونس، الآية: 90.
(6) صفوة التفاسير: 1/ 596.

أوقاته فلم يقل: (آمنت أنه لا إله إلا الله) بل تحاشى عن ذكر لفظ الجلالة وقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾، فلم يُستجَب دعاؤه وجاءه الرد بقوله تعالى: ﴿ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾[1] أي (ببدنك عارياً عن الروح)[2] فالخوف والضيق والشدة هي الأمور التي حملت فرعون على هذا الدعاء وليس الإخلاص في التوبة والإنابة إلى الله تعالى.

وفي سورة هود نقل سبحانه وتعالى الدعاء المؤدب لسيدنا نوح عليه السلام حيث قال: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾[3]، (وقد تضمن دعاؤه معنى السؤال أو سُمي نداؤه سؤالاً - ولا سؤال فيه - أي وإن لم يصرح به، لأن ذكر الوعد بنجاة أهله من الغرق استجاز له، فرتب عليه طلب نجاة ابنه)[4].

وقال الزمخشري: (فإن قلت: لم سُمي نداؤه سؤالاً ولا سؤال فيه؟ قلت: قد تضمن دعاؤه معنى السؤال وإن لم يصرح به)، وقد قال تعالى (ونوحاً إذ نادى ربَّه) ولم يقل: ونوحاً إذ دعا، (فإن النداء هو برفع الصوت بتلهف وحرقة فجزعه على ابنه وحالته النفسية دعتاه إلى النداء بتلهف. وقال (ربه) ولم يقل (الله)، لأن الرب فيه معنى الشفقة والرأفة، وهذا ملائم لحاله وحال ابنه الموشك على الغرق)[5]، ولم يكن هذا الدعاء متقبلاً لأن الله تعالى أخبره أن ابنه ليس من أهله الناجين لرضائه بالكفر، و(في هذا عدم جواز الدعاء بما يعلم الإنسان عدم مطابقته للشرع)[6]، ولهذا استدرك نوحٌ عليه السلام هذا الدعاء بدعاء آخر فقال: ﴿رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾[7].

ومن أدعية البحر دعاء سيدنا يونس عليه السلام في ظلمات البحر الذي يمتاز

(1) سورة يونس، الآيتان: 91 - 92.
(2) تفسير البيضاوي: 2/ 529.
(3) سورة هود، الآية: 45.
(4) التفسير المنير: 6/ 391.
(5) دراسات جديدة في إعجاز القرآن: 264.
(6) زبدة التفسير: 291.
(7) سورة هود، الآية: 47.

بالصدق والإنابة إلى الله تعالى، وقد ورد في سورة الأنبياء حيث قال تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1] أي: اذكر ذا النون إذ ذهب مراغماً لقومه... (وظن أن ذلك يسوغ حيث لم يفعله إلا غضباً لله وبغضاً للكفر وأهله، وكان عليه أن يصابر وينتظر الإذن من الله تعالى في المهاجرة عنهم فابتُلِي ببطن الحوت)[2]، فابتلاه الله تعالى بإلقائه في اليمّ ثم في ظلمة بطن الحوت، حينها أدرك يونسُ عليه السلام أنّه ظَلَمَ نفسه (بالمبادرة إلى المهاجرة من غير إذن)[3]، فنادى في (ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت)[4] قائلاً: لا إلٰه إلا أنت تنزيهاً لك من أَنْ يعجزك شيءٌ، (وقد كنتُ من الظالمين لنفسي فاكشف عني المحنة)[5].

ويمكن القول إن الجامع بين سياقات هذه الأدعية هو الخوف والشدة والضيق وخشية الهلاك، فأدت الحالة النفسية في هذا الجو المشحون بالترقّب دورها في صياغة الدعاء، وستبين الدراسة الصوتية الرابط أو القاسم المشترك بين هذه الأدعية وتوضح أثر هذا الحال في تلوين المقال.

الدراسة الصوتية:

1 - قال تعالى: ﴿لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[6].

ل ـَ/ ء ـِ ن/ ء ـَ ن/ ج ـَ ي/ ت ـَ/ ن ـَـَ / م ـِ ن/ هـ ـَـَ/ ذ ـِ/

ص م / ص م ص/ ص م ص/ ص م ص/ ص م / ص م م/ ص م ص/

ص م م/ ص م/

(1) سورة الأنبياء، الآية: 87.
(2) تفسير النسفي: 724.
(3) التفسير المنير: 9/ 124.
(4) زبدة التفسير: 429.
(5) صفوة التفاسير: 2/ 272.
(6) سورة يونس، الآية: 22.

هـ ـِ/ ل ـَ/ ن ـَ/ ك ـُـــُـ/ ن ـَ ن/ ن ـَ/ م ـِ/ ن ـَ ش/ ش ـــَـــَـ/

ص م / ص م / ص م / ص م م/ ص م ص/ ص م / ص م / ص م ص/ ص م م/

ك ـِ / ر ـــِـــ/ ن ـَ.

ص م / ص م م/ ص م.

هـ	ج	L.v	M.v	H.v	م ط	غ م م	م م م	ق م	ii	uu	aa	i	u	a
6	25	2	10	14	0	6	5	10	2	1	3	6	0	10

2 - قال تعالى: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[1].

ء ـــَـــ / م ـَ ن/ ت ـُ/ ء ـَ ن/ ن ـَ/ هـ ـُ/ ل ـــَـــ/ ء ـِ/ ل ـــَـــ/

ص م م/ ص م ص/ ص م / ص م ص/ ص م / ص م / ص م م/ ص م / ص م م/

هـ ـَ/ ء ـِ ل/ ل ـَ ل/ ل ـَ/ ذ ـــِـــ/ ء ـــَـــ/ م ـَ/ ن ـَ ت/ ب ـِ/

ص م / ص م ص/ ص م ص/ ص م / ص م م/ص م م/ ص م/ ص م ص/ ص م /

هـ ـِ/ب ـَ/ ن ـُـــُـ/ ء ـِ س/ ر ـــَـــ/ ء ـِ ي/ ل ـَ/ و ـَ/ ء ـَ/

ص م / ص م/ ص م م/ ص م ص/ ص م م/ص م ص/ ص م / ص م / ص م /

ن ـَ/ م ـِ/ ن ـَ ل/ م ـُ س/ ل ـِ/ م ـــِـــ / ن ـَ.

ص م / ص م/ ص م ص/ ص م ص/ ص م / ص م م/ ص م.

(1) سورة يونس، الآية: 90.

a	u	i	aa	uu	ii	ق م	م م م	غ م م	م ط	H.v	M.v	L.v	ج	هـ
15	2	8	5	3	3	17	8	8	0	27	14	3	45	6

3 - قال تعالى: ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾[1].

رَـ ب/ ب ـِ/ء ـِ ن/ ن ـَ ب/ ن ـــِـــ/ م ـِ ن/ء ـَ هـ/ ل ـــِـــ/ وَـ/

ص م ص/ ص م /ص م ص/ ص م ص/ص م م/ص م ص/ ص م ص/ص م م/ ص م /

ء ـِ ن/ ن ـَ/و ـَ ع / د ـَ/ ك ـَ ل/ ح ـَ ق/ ق ـُ/ وَـ/ ء ـَ ن/

ص م ص/ ص م/ ص م ص/ ص م / ص م ص/ ص م ص/ ص م /

ص م/ ص م ص/

ت ـَ/ ء ـَ ح/ ك ـَ/ م ـُ ل/ ح ـــَـــ/ ك ـِ/ م ـــِـــ/ ن ـَ.

ص م / ص م ص/ ص م /ص م ص/ص م م/ ص م / ص م م/ ص

م.

a	u	i	aa	uu	ii	ق م	م م م	غ م م	م ط	H.v	M.v	L.v	ج	هـ
15	2	4	1	3	3	10	5	12	0	19	17	1	43	8

4 - قال تعالى: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[2].

ل ـــَـــ /ء ـِ/ ل ـــَـــ/هـ ـَ/ ء ـِ ل/ ل ـــَـــ/ ء ـَ ن/ ت ـَ/ س ـُ ب/

ص م م/ ص م/ ص م م/ ص م /ص م ص/ص م م/ ص م ص/ ص

/ ص م ص /

ح ـــَـــ/ ن ـَ/ك ـَ/ء ـِ ن/ ن ـــِـــ/ك ـُ ن/ت ـُ/ م ـِ/ ن ـَ ظ/

ظ ـــَـــ/

(1) سورة هود، الآية: 45.

(2) سورة الأنبياء، الآية: 87.

ص م م/ ص م/ ص م/ص م ص/ص م م/ص م ص/ ص م/ ص م/ ص م ص/ ص م م/

ل ـِ/ م ـِـ / ن ـَ.

ص م/ ص م م/ ص م.

a	u	i	aa	uu	ii	ق م	م م م	غ م م	م ط	H.v	M.v	L.v	ج	هـ
7	3	5	5	0	2	9	7	6	0	15	11	4	28	7

نتائج الدراسة الصوتية:

اسم السورة	رقم الآية	المصوتات القصيرة			المصوتات الطويلة			المقاطع					الذبذبات			المجهورات والمهموسات	
		a	u	i	aa	uu	ii	م ق	م م م	م م غ	م ط		H v	M v	L v	ج	هـ
يونس	22	10	0	6	3	1	2	10	5	6	0		14	10	2	26	6
يونس	90	15	2	8	5	3	3	17	8	8	0		27	14	3	45	6
هود	45	15	2	4	1	3	4	10	4	12	0		19	17	1	34	8
الأنبياء	87	7	3	5	5	0	2	9	7	6	0		15	11	4	28	7
المجموع		47	7	23	14	7	11	46	24	32	0		75	52	10	133	27

تحيلنا الدراسة الصوتية التي توزعت على المناحي الأكوستيكية والمقطعية إلى نتائج منها :

1 - ارتفاع نسبة الفتحة (a)، فقد ظهرت في سياقات أدعية البحر التي دُرست صوتياً سبعاً وأربعين (47) مرة. مقابل سبع ضمات (u) فقط.

2 - زيادة نسبة المصوت (aa)، الذي ظهر (14) أربع عشرة مرة، وهذه ضعف نسبة المصوت (uu) الذي لم يظهر سوى (7) سبع مرات.

3 - كثرة المقاطع القصيرة، ونسبتها (46) ستة وأربعون.

4 - غلبة الذبذبات العالية (H. v) فقد ظهرت (75) خمساً وسبعين مرة في حين اكتفت الذبذبات الواطئة (L. v) بظهورها (10) عشر مرات فقط.

5 - الزيادة البينة لعدد المجهورات، إذ بلغت (133) مئة وثلاثاً وثلاثين مرة، في حين لم تظهر المهموسات إلا (27) سبعاً وعشرين مرّة.

أولاً: دلالة الصوامت:

وقبل الخوض في مؤشرات نتائج الدراسة الصوتية، نرى أن من المفيد العروج على دلالات الصوامت في أدعية البحر التي أجريت عليها الدراسة، فإن ورود الصوامت في هذه الأدعية لا ينفكُّ عن إشارات يمكن أن تلمح من خلال النظر الدقيق في جرسها وإيقاعها وما توحيه أصداؤها من دلالات تتواشج مع المعطيات الصوتية الأخرى في إبراز الجانب الإعجازي في الخطاب القرآني.

فكما أن صورة الحرف لم تنشأ اعتباطاً بل تدرجت من الكتابة الصورية إلى أن وصلت إلى الكتابة الرمزية، ولم تفقد صلتها بأصلها الصوري (وإن تحولت الصور بعد أن تعرضت لفعل التطور الطبيعي إلى رموز اختفت أصولها حتى على أصحاب الخط، فنُسِيَ أمرُ الصورة حتى كأنها لم تكن)[1]، كذلك أصوات الفونيمات لها ارتباط بدلالاتها وقد ثبت فيما مضى من هذه الدراسة ما أورده العلماء وخاصة (ابن جني) من أدلة على ذلك.

فلو أمعنا النظر في دعاء (فرعون) عند غرقه لظهر لنا أن المخذول لجأ إلى أشرف عبارة وأعظم جملة نطقها البشر - ونعني بها (كلمة التوحيد) - فقد أدرك فرعون أنه لن ينجيه إلا الإقرار بفردية وألوهية من كان يبارزه طول حياته وينكر قدرته ووجوده، وعلم أن ذلك هو سبب غرقه، فحاول أن يجعل من الإقرار بوحدانية الله سُلّماً للنجاة وقارباً للخلاص من الغرق، فقال: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾[2]، والصوامت المشكلة كلمة التوحيد (جوفية كلها فالمهم هو القلب وكأن الناطق بها يخرج هذه الألفاظ من صميم قلبه لا بشفتيه أو طرف لسانه، وهي مبدوءة بالنفي غسلاً للقلب من كل ما سواه تعالى، ثم هي مستغنية

(1) ينظر: دراسات في فقه اللغة والفونولوجيا العربية: 217.
(2) سورة يونس، الآية: 90.

عن النقط، ومن طبيعة الموحد الاستغناء عن الخلق اكتفاء بالخالق سبحانه وتعالى)[1]، والصامت الذي يتكرر كثيراً في هذا اللفظ هو فونيم اللام، ويعد الخط النبطي الصورة الأولى الأصلية للخط العربي، وتشير النقوش النبطية المختلفة إلى إنها استعملت عدة رموز للتعبير عن اللام وهو ما يقابل الرمز العربي (لا) أي: (لام ألف)، وكذلك استعمل الرمز السينائي القديم وهو أمر مستقى عن معنى العصا المعقوفة... ثم تطور في العربية فصار على عكس هذه الصورة أي (ل)[2]، وصورة اللام تشبه صورة آلة صيد السمك أيضاً. وإيحاءات هذه الصورة قريبة الدلالة من معاني طلب النجاة من البحر من تمسك بعصا أو تعلق بآلة صيد السمك للخروج من الماء.

ثم إن في صوت (لا) دلالة واضحة على خطر الموت الذي يستشعره الإنسان فيتلفظ بهذا الصوت، علامة منه على الندم وتعبيراً عن طلب المعونة والخلاص.

واللام (صوت موجود في اللغة السامية الأم، وعند نطقه مرققاً يرتفع وسط اللسان تجاه الحنك الصلب فيكون له رنين شبيه برنين الحركات الأمامية)[3]، ولأن صوت اللام يكون بالتصاق اللسان بسقف الحنك فإن طريقة نطقه (تماثل الأحداث التي يتم فيها الالتصاق والتماسك)[4]، فهذه الدلالات الصورية والصوتية ليست بعيدة عن دعاء فرعون عند غرقه فهو نادم خائف يهتف مع كل شهقة وغطسة في الماء (لا) وهو يريد لمس أي شيء أو الالتصاق بأي مخلّص ينجيه من الغرق.

وفي الدعاء الآخر الذي كان سبباً لخلاص سيدنا يونس عليه السلام من بطن ظلماتٍ ثلاث نلمح الإيقاع الفعّال في صوت (السين) عند قوله (سبحانك) وما

(1) ينظر: الخطابة بين النظرية والتطبيق: 51.
(2) ينظر: دراسات في فقه اللغة والفونولوجيا العربية: 230-231.
(3) المدخل إلى علم الأصوات: 94.
(4) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها: 80.

يورثه من أثر في إيصال الدعاء واختراق موجات أصواته القوية حجبات الحوت والماء والهواء صعوداً إلى السموات العُلى، روى ابن أبي حاتم عن أنس يرفع الحديث إلى رسول الله ﷺ: (أن يونس النبي عليه السلام حين بدا له أن يدعو بهذه الكلمات وهو في بطن الحوت، قال: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1] فأقبلت هذه الدعوة تحت العرش، فقالت الملائكة: (يا رب صوت ضعيف من بلاد غريبة، فقال: أما تعرفون ذلك؟ قالوا: لا يا رب، ومن هو؟ قال: عبدي يونس، قالوا: عبدك يونس الذي لم يزل يُرفع له عمل متقبل ودعوة مجابة، قالوا: يا رب أوَ لا ترحم ما كان يصنع في الرخاء فتنجيه من البلاء؟ قال: بلى، فأمر الحوت فطرحه في العراء)[2]، فالدعاء لم يكن قلبياً، بل كان نطقياً واخترق الحجاب وسمعته الملائكة وقال تعالى: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾[3]، فظهر أن محور هذا الدعاء هو التسبيح، والتركيز في أثناء هذا الدعاء يكون على الفونيم (س) الذي يتميز بقوة أكوستيكية توصله إلى مديات بعيدة، فهي (تحتوي على أعلى الترددات كلها فتصل من (8000 -9000) دورة في الثانية)[4]، والصفير الذي ينبه به البعيدُ ما هو إلّا تمديد لصوت السين فهو لقوة تردده يدفع ذرات الوسط الناقل للصوت بسرعة فائقة (وينطلق بسرعة أكبر في السوائل)[5]، فيصل صوته إلى مسافات قصية نظراً لشدة ضيق القناة التي يخرج منها هواء السين وتبلغ مقداراً يتراوح بين 5/ 1000 و12/ 1000 من المليمتر المربع، فإن اندفاع الهواء يكون شديداً فيصطدم بأطراف الأسنان العليا والسفلى وتكون النتيجة وجود اضطراب ذيل (wake) بعد الأسنان باتجاه الشفتين. فلم يكن اختياره مُرتكزاً لتسبيح سيدنا يونس عليه السلام في البحر اعتباطاً، فهو في بطن الحوت واليم والدُّجى به حاجة إلى

(1) سورة الأنبياء، الآية: 87.
(2) تفسير القرآن العظيم: 4/ 387، رقم الحديث: 4622.
(3) سورة الصافات، الآيتان: 143 - 144.
(4) دراسة الصوت اللغوي: 43.
(5) أساسيات علم الكلام: 67.

فونيم قوي التردد ليوصل به دعاءه إلى العرش مخترقاً هذه الموانع والحجابات، وفونيم (السين) خير ما يؤدي تلك الوظيفة.

واللافت للنظر أن دلالة (السين) في الكتابات النبطة ترتبط بالمعنى الذي اشتق منه هذا الشكل وهو (السمكة)، فقد رُسِم في الكتابات السينائية النبطية على هيئة سمكة واضحة المعالم[1]، وهو فونيم مهموس رخو، وأغلب المصادر التي تبدأ به (تدل معانيها على التحرك والمسير بما يتوافق مع خاصية الانزلاق في صوته)[2]، فالسين أول لفظ (السمك) وشكله مشتق من شكلها، ويدل على الحركة والمسير، والسمك لا يكف عن الحركة والمسير في جوف البحر حاملاً سيدنا يونس عليه السلام وهو يدعو ويرجو ربه أن ينجيه ولا يكف عن التسبيح، أليس بين هذه الأمور ترابط دلالي واضح المعالم يدل على قدرة الصانع الحكيم الذي صاغ ألفاظ كتابه على أتم وجه وأعجز به العالمين جميعاً؟

ثانياً: دلالة المصوتات:

من النتائج التي أشير إليها في الدراسة الصوتية على أدعية البحر ارتفاع نسبة ظهور الفتحة (a) في أثناء تلك الأدعية، فقد ظهرت أربعاً وأربعين (44) مرة في حين لم تظهر الضمة (u) إلا سبع مرات، ويوصف المصوت القصير (a) بأنه (مصوت أماميٌّ عالٍ غيرُ مدورٍ، وكل صفة من هذه الصفات تؤول إلى سهولة النطق لأن اللسان يكون في أثناء النطق به في موضح محايد، والنطق بالمصوت الأمامي أسهل من الخلفي، وغير المدور أسهل من المدور لأن الأخير يتطلب جهداً إضافياً هو تدوير الشفتين)[3]، إذاً فالفتحة (a) أخف الأصوات وهي أسهل نطقاً، والإنسان بطبعه يميل إلى الأسهل - وهو ما يسمى عند علماء الفيزياء بـ (قانون الجهد الأقل) - Low of Less effort.

(1) دراسات في فقه اللغة والفونولوجيا العربية: 232.
(2) خصائص الحروف العربية ومعانيها: 111.
(3) ينظر: الأصوات اللغوية (الخولي): 141.

ولكن ما علاقة ذلك بجو البحر والأدعية التي صيغت هناك؟

يصف الدرس الصوتي الحديث المصوتات من حيث الحدة والرزانة بأن (الفتحة صوت مُنتشر diffuse)، والكسرة حادة (acute)[1]، والضمة رزينة (grave)، وعليه فإن الفتحة ليست حادة ولا رزينة، أي إنها صوت منتشر ينفذ بسهولة وانسيابية في الهواء. ولتغير الرطوبة تأثير في سرعة الصوت، فإن (كثافة بخار الماء تحت الشروط القياسية من ضغط ودرجة حرارة تساوي (0,0008 غم/ سم^3 = 18غم/ 22400سم^3)، في حين كثافة الهواء الجاف تحت الشروط نفسها هي 0,001293غم/سم^3، لذلك فإن كثافة البخار أقل من كثافة الهواء الجاف، ولمّا كانت سرعة الصوت تزداد كلما قلت كثافة الوسط، لذلك فإن سرعة الصوت في الهواء تزداد مع ازدياد رطوبته)[2]، وبما أن هواء البحر رطب قليل الكثافة ومتخلخل يمكن أن تخترقه الأصوات بسهولة، فلا حاجة إلى صوت حاد ولا إلى رزين، بل تناسبه الفتحة المنتشرة اللينة، وهذا ما يُفسر غلبة نسبتها في أدعية البحر كلها.

ولو عدنا إلى ملاحظة الحالة النفسية للداعين في جو البحر وطالعنا التنغيم فيه وجدناه تنغيماً صاعداً، فهم في أشد درجات الخوف والانفعال، (فالضمة تتوقف على عدد ذبذبات الأوتار الصوتية في الثانية، وهذا العدد يعتمد بدوره على درجة توتر الأوتار الصوتية)[3] وتوتر الأوتار تابع للتوتر العصبي بشكل عام، والذين يدعون في البحر خائفون يترقبون الموت يقولون: ﴿لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾[4] فأفواههم مفتوحة من الخوف، لا يستطيعون تدويرها، فلا تجد في الآية إلا ضمةً واحدة، ويلاحظ في دعاء سيدنا يونس عليه السلام في بطن الحوت خُلُوُّهُ من فونيم الواو (uu)، وقد يُعزى ذلك إلى السبب المذكور آنفاً.

(1) دراسة الصوت اللغوي: 39.
(2) فيزياء الصوت والحركة الموجية: 518.
(3) الأصوات اللغوية (الخولي): 169.
(4) سورة يونس، الآية: 22.

ومما يشار إليه في أدعية البحر زيادة نسبة المصوت الطويل (aa)، فقد ورد أربع عشرة مرة في الأدعية البحرية التي دُرست صوتياً في حين لم تظهر الواو (uu) سوى سبع مرات فقط. وامتداد الصوت بالدعاء وطول الرجاء يناسبه المصوت الطويل (aa) فهم يهتفون بلا انقطاع طالبين الغوث والمدد، و(ظاهرة حرية مرور الهواء وانطلاقه من خلال الفم إنما تتحقق بصورة أوضح في نطق الألف فهي على حد تعبير ابن جني (أوسع حروف المد وألينها)[1]، ومع أن تنوع أصوات المد إنما يكمن أولاً في حركة اللسان، ثم في حركة الشفتين في أثناء أداء هذه الأصوات، بيد أن هناك عوامل أخرى لها دور في ذلك، وقد ذكر (ديفيد آبر كرومبي) (أن بعض الأصوات تتأثر بالتوتر العضلي للّسان مما يفترض حساب التغيرات الناشئة بسبب هذا التوتر)[2]، والخوف يستدعي (الهياج (agitation) ويدل على حالة من الشعور الذاتي بالقلق والتوتر، وعدم الاستقرار المرتبط بالنشاط الجسمي)[3] ويشمل هذا التوتر أعضاء النطق أيضاً فيفقد المتكلم الخائف القدرة على التفنن في الكلام، وبما أن المصوت (aa) عبارة عن إخراج النفس طولياً من غير معالجة تذكر فلا تحتاج إلى تفنن وصياغة، وهي تناسب حال الخائف، وهذا ما يسوّغ كثرة ورودها في عباراتهم، وهذا ما يلمح في أدعية البحر كلها، فإن نسبة هذا المصوت مرتفعة فيها وكما هو ظاهر في الدراسة الصوتية.

ثالثاً: دلالة المقاطع:

تبين خلال الدراسة الصوتية ازدياد المقاطع القصيرة في أدعية البحر إذ وصل مجموعها إلى ستة وأربعين (46) مقطعاً. وهذا يتناسب والحالة النفسية للداعين في البحر، فهم على عجالة من أمرهم يلتاعون إلى إيصال الدعاء بأسرع

(1) ينظر: علم الأصوات (كمال بشر): 82.
(2) في الأصوات اللغوية، دراسة في أصوات المد العربية: 35-36.
(3) سيكولوجية اللغة والمرض العقلي: 195.

ما يمكن ليحصلوا على الإجابة بالخلاص والنجاة، فلا تخدمهم في هذا الحال المقاطع الطويلة، وإلى هذا يعزى غلبة المقاطع القصيرة والمتوسطة فلا نجد في الأدعية البحرية مقاطع طويلة، فإن طول المقاطع وقصره يثيران الإحساس بالسرعة أو البطء بحسب طول المقطع وقصره. والمجموعة النَفَسية حدها الأدنى مقطع واحد، فالمقطع (نفخة هواء من الصدر)[1] وقد (أجمع علماء الأصوات (phoneticians) على أن العملية المهمة في إنتاج الكلام هي عملية التنفس.. ويتم ذلك في أثناء عملية الزفير التي يتم من خلالها إنتاج أغلب الأصوات اللغوية)[2]. وفي دعاء فرعون مثال جليّ على ما سبق فهو بصدد الغرق يغطس في الماء ويطفو على سطحه، وفي هذه العجالة لا يتمكن من نطق المقاطع الطويلة فنفسه لا يساعده في ذلك (لأن التحضير لطرح كمية من الهواء من الرئتين لإصدار الأصوات الكلامية، لابد من استنشاق كمية كافية منه في البداية)[3] وحالة الموشك على الغرق ليست مهيأة لهذا، فهو لا يتمكن من استنشاق كمية كافية من الهواء ليصدر بها مقاطع طويلة، بل إن تنفسه عبارة عن شهقات قصيرة تنتج منها زفرات مثلها مكونة مقاطع قصيرة، أو متوسطة، وقد أحصينا في دعاء فرعون (17) سبعة عشر مقطعاً قصيراً وهي أعلى نسبة من بين المقاطع المستخدمة في دعاء البحر بأنواعها.

وقد دعا سيدنا نوح عليه السلام لابنه في البحر ليكون من الناجين، فقال: ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾[4]، والمقاطع القصيرة في هذا الدعاء تسع، أما المقاطع المتوسطة فقد ارتفعت إلى ضعف ذلك، منها اثنا عشر مقطعاً مغلقاً وخمسة مقاطع مفتوحة لأن درجة التوتر هنا أقل، فهو آمن من الغرق واثق بوعد الله إياه بالنجاة مع أهله والمؤمنين معه، وظن أنَّ ابنه من جملة

(1) دراسة الصوت اللغوي: 285.
(2) التفكير الصوتي عند الخليل: 9.
(3) أساسيات علم الكلام: 90.
(4) سورة هود، الآية: 45.

الداخلين في هذا الوعد فحالته لا تستدعي القلق والهيجان لذا فإنه يطيل الدعاء فتتشكل من ذلك مقاطع متوسطة، (ويدل هذا على أن القرآن الكريم قد اختار اللفظ المناسب في الموقع المناسب فجاء كل لفظ بمكانه الصوتي من العبارة القرآنية أو الجملة أو الآية... مما يوحي باستقلالية الكلمة المختارة لدلالة أعمق وإشارة أدق، بحيث يتعذر على أية جهة فنية استبدال ذلك بسواه)[1].

وقد دعا سيدنا نوح عليه السلام في موطن آخر، فقال: ﴿رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾[2]، ويتكون هذا الدعاء من ثلاثة عشر مقطعاً متوسطاً وثمانية مقاطع قصيرة، ومرد ذلك فيما نرى إلى أن هذا الدعاء لا خوف فيه، بل هو صادر عن ثقة واطمئنان بعد نزوله إلى بر الأمان، ولأنه كان بتعليم الله تعالى، وقاله نوح عليه السلام (حين خرج من السفينة - فيما رواه ابن عباس -)[3]، فلا رعب يدعو إلى التوتر وضيق النفس، فكان دعاءً هادئاً غلبت فيه المقاطع المتوسطة بقية الأنواع. ويثبت هذا أن (قليل القرآن معجز ككثيره، وأن له إعجازاً في أسلوبه ونظمه ونغمه وفي كل مقطع منه بحيث إنك لو غيرت كلمة من موضعها لشعرت بما يشبه انكسار الوزن في الشعر، فالقرآن يمتاز بأسلوب إيقاعي ينفرد عن سائر الكتب)[4]، وإن هذا الانتقال بين المقاطع دليل على رفعة الخطاب القرآني وسمو بلاغته، فإن الذي يحملنا على استحسان الكلام هو (مهارة التأليف بين الأصوات والقدرة على توزيعها وتنسيقها)[5] وقد بلغ القرآن الكريم ذروة هذا التأليف الحسن بين الألفاظ وصياغة المقاطع ونظم التراكيب، فكان في ذلك معجزة خالدة على مر الأزمان.

---

(1) الصوت اللغوي في القرآن الكريم: 203.
(2) سورة المؤمنون، الآية: 29.
(3) ينظر: صفوة التفاسير: 2/ 308، والتفسير المنير: 9/ 358.
(4) ينظر: دور الصوت في إعجاز القرآن: 142-143.
(5) المنهج الصوتي للنحو العربي: 101.

رابعاً: دلالة الذبذبات:

كشفت الدراسة الصوتية عن وجود عدد كبير من الفونيمات ذوات الذبذبة العالية (H. v) في أدعية البحر، فقد وصل عددها إلى (75) خمس وسبعين ذبذبة، في حين قلت الذبذبات الواطئة (L.v) فلم تظهر في أثناء هذه الأدعية سوى (10) عشر مرات.

والفونيمات ذوات الذبذبة العالية تدخل ضمن ما يسمى عند القدامى بالحروف المذلقة (لأنها حروف لها فضل اعتماد على ذلق اللسان وهو طرفه)[1]، و(بيّنَ علماءُ العربية القدماء أنّ هذه الأصوات تمتاز بسهولتها في النطق، ولذلك لابد أن يتضمن كل لفظ زاد على ثلاثة أصوات على صوت من أصوات الذلاقة، والسبب في تضمن الكلمات الرباعية أو الخماسية على صوت من أصوات الذلاقة ربما يعود لتباعد مخارج هذه الأصوات، فكلما تباعدت مخارج الأصوات كانت في التأليف أحسن)[2]، ومن ناحية أخرى فإن هذه الفونيمات تمتاز بوضوح سمعي عالٍ تناسب الدعاء في جو البحر ورهبته مصورة بجرسها القوي تعالي صراخ المنكوبين في عُرْض البحر تتقاذفهم الأمواج المتلاطمة فيستخدمون من الفونيمات أقواها ليعبروا عن فزعهم وضيق حالهم، وهذا يتوافق مع قوانين اللغة وأعرافها، فإن (بعض أصوات اللغة يقوم بدور في تقوية الرمز إلى مدلوله، كما نستشعر حين ننطق بكلمة (مضخّة) أنَّ الخاء صوت قوي عنيف، وكذلك حين نصف نزول المطر بغزارة (زخّات المطر) كأنما توحي الخاء بهطول المطر على شكل دفعات تضرب الأرض وتشق قلبها)[3]، وهذا ما يلحظ في القرآن بكثرة، ففي سورة القارعة (تكرر لفظة القارعة ثلاث مرات كأنها صوت الضرب بالمقرعة، واشتملت اللفظة على القاف والعين وهما من الحروف

(1) أسرار العربية: 210.
(2) المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء في ضوء علم اللغة المعاصر: 123.
(3) نظرية النحو العربي القديم: 135.

الطلق، وهما عند الخليل من أطلق الحروف وأضخمها جرساً لأن المقام يقتضي جرساً عالياً)[1]، وفي قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ﴾[2]، (تنهض كلمة (كَلٌّ) وهي صارخة مشرئبة لتوحي بمعنى العالة في أبرز مظاهرها، وقد استعملها القرآن لإضاءة المعنى بما فيها من غلظة وشدة وثقل لهذا الصدى الصوتي الخاص المتولد من احتكاك الكاف وإطباق اللام على اللهاة وما ينجم عن ذلك من رنة في الذاكرة. . . فصوت الكاف شديد انفجاري مهموس، وصوت اللام مجهور متوسط بين الشدة والرخاوة فظل النفس جارياً مستطيلاً في اللام عند مجاورتها الكاف وزاد التشديد في استطالتها لتوحي الكلمة بأبعادها الصوتية: بأن هذا شؤم لا خير معه، بل هو (كَلٌّ) بكل التفصيلات الصوتية لهذا اللفظ)[3]، فلم يكن ارتفاع نسبة الذبذبات العالية في أدعية البحر ليخلو من دلالة فهي أصوات مقطعية، (وقريب من حروف المد الحروف المقطعية لأن لها قيماً سمعية خاصة - وتأتي في قوة الإسماع بعد الحركات - وتسمى الحروف الانطلاقية)[4].

هذه الخصائص الموجودة في هذه الفونيمات سوَّغ كثرة ورودها في أدعية البحر، فهي سهلة النطق عالية الإسماع تناسب حال الداعين، الذين تعصف بهم الرياح ويحيط بهم الموج من كل مكان، ومعلوم أنَّ الرياح لها تأثير في الأصوات، وقد أدرك القدامى ذلك، قال ابن سنان: (فكذلك يُدرك الصوت في جهة الريح أقوى لأنه يتولد فيها حالاً بعد حال فيكون إلى إدراكه أقرب، وإذا كانت الريح في خلاف جهة الصوت ضعف إدراكه وربما لم يُدرك)[5]، وهذا ملمح فيزيائي تقره قوانين هذا العلم التي تفيد أن (الموجات الصوتية عندما

(1) دور الصوت في إعجاز القرآن: 143-144.
(2) سورة النحل، الآية: 76.
(3) الصوت اللغوي في القرآن الكريم: 191-192.
(4) الزحاف والعلة رؤية في التجريد والأصوات والإيقاع: 200.
(5) سر الفصاحة: 14.

تتحرك باتجاه الريح تكون مقدمة الموجة أسرع من مؤخرتها مما يؤدي إلى انحنائها نحو سطح الأرض، أما عندما تتحرك الموجات الصوتية عكس اتجاه الريح تكون مقدمة الموجة أبطأ من مؤخرتها مما يؤدي إلى انحنائها بعيداً عن سطح الأرض)[1] فلا تُسمع لأنها ترتفع إلى الأعلى.

فهذا الحال يستدعي الفونيمات الانطلاقية أو (المذلقة) ذات الذبذبة العالية لتنطلق في الهواء العاصف، وتنقل أدعية المستغيثين وتوصلها إلى أقصى ما يمكن.

وهذا ما كشفته الدراسة الصوتية فكانت نسبة هذه الفونيمات هي الأعلى.

خامساً: دلالة الجهر والهمس:

ظهرت الفونيمات المجهورة بصورة ملحوظة في دعاء البحر، فقد كشفت الدراسة الصوتية عن وجود (133) مئة وثلاثة وثلاثين فونيماً مجهوراً، فيما بيّنت الدراسة وجود (27) سبعة وعشرين فونيماً مهموساً، وهذا يتواءم مع المعطيات الصوتية الأخرى، فقد أشرنا في دلالات الصوامت والمصوتات والمقاطع أن الداعين في البحر يطلبون الخفة والسرعة في ألفاظهم لكي يوصلوا الدعاء بأسرع وقت وينالوا الإجابة بأسرع من ذلك، وتظهر الدراسات الصوتية الحديثة (أن الأصوات المهموسة تنتج بجهد مضاعف وتحتاج إلى وقت أكثر من الأصوات المجهورة التي تنتج بجهد ووقت أقل)[2]، فلا مجال لإضاعة الوقت في البحر، لأنهم على وشك الغرق، وقد أنهكهم التعب والخوف فلا طاقة لهم بإنتاج المهموسات التي تحتاج إلى جهد كبير، بل يلجأون إلى المجهورات التي تناسب حالهم من جهتين (الجهد الأقل والوضوح السمعي) وقد أشرنا في دلالة الذبذبات أنّ الداعين في البحر يتحرّون الذبذبات العالية لما تمتاز به من وضوح سمعي عالٍ، ودلالة المجهورات تتلاءم مع دلالة الذبذبات العالية في هذا الصدد.

(1) الفيزياء الموجية: 125.

(2) منهج النقد الصوتي: 49.

فإن الجهر (من صفات القوة في الصوت، والهمس من صفات ضعف الصوت، كما بيّن علماء العربية القدماء، فالمهموس عندهم ما اتسع مخرجه، والمجهور ما ضاق مخرجه)[1].

هكذا تتواشج الدلالات الصوتية في إبراز الحالة النفسية للداعين في البحر عندما تضيق بهم السبل فيتضرعون إلى الله تعالى لينجيهم من هول العواصف والأمواج المحيطة بهم، فيهتفون بصدق وإخلاص: ﴿لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾[2]، فبينت الدراسة الصوتية أسلوب دعائهم ونمط أصواتهم، فكان ذلك دليلاً على الإعجاز الصوتي في آيات الذكر الحكيم.

(1) المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء: 103.

(2) سورة يونس، الآية: 22.

نتائج البحث

إن من السنن الإلٰهية أن يكون لكل بداية نهاية، ولكل مقدمةٍ خاتمة ويشرف هذا البحث على النهاية بعد أن درس صوتياً طائفة من أدعية القرآن الكريم، وخاض من أجل ذلك ميادين وعرة وغاص في أعماقٍ سحيقة ؛ لينال شيئاً من كنوز التعبير الخفية في أطواء البلاغة المعجزة للخطاب الإلٰهي الذي أعجز العالمين وتحداهم أن يأتوا بمثله. ولن يقدروا على ذلك ولو كان بعضهم لبعضٍ ظهيراً.

وإن أي بحث جاد ورصين يتغيّا الوصول إلى أهداف، منها ما هو جلي يتراءى في أثناء وضع خطة محكمة، ومنها ما هو خفي تكشف آفاقه العمل الذي يقوم به الباحث والمعلومات الكامنة في أطواء المصادر والمراجع، وبحثنا هذا رسا على نتائج نراها ذات بال لبحث اقتحم عالماً جديداً وولج ميداناً بكراً، منها ما يتعلق بالسياق، ومنها ما يختص بالجانب الفونيمي وما يحمله الفونيم من دلالات صوتية، ومنها ما يرجع إلى الجانب النفسي وأثره في تكوين الخطاب، ومنها ما يعود إلى الظاهرة الفيزيائية (الأكوستيكية)، فضلاً عن النتائج الأخرى المستوحاة من دلالات الجهر والهمس، ودلالة الاشتقاق الكبير.

ويمكن إجمال ما توصل إليه البحث من نتائج على هذا النحو:

أولاً: ظهر للبحث أن الاشتقاق الكبير الذي طبقناه في الفصلين الأول والثاني ذو أصالة يمكن أن يبرز خصائص اللغة العربية ودقتها، فقد ثبت أنَّ تقاليب (برك) كلها، تدل على الخير والنماء والزيادة، وليس فيها تقليب ضائع أو شاذ عن محور هذه الدلالة، ودلت تقاليب (سَبَحَ) على السرعة والخفة والسباحة في الماء أو الهواء، ولم تخرج هذه الدلالة عن مفهوم هذه اللفظة في السياقات التي وردت ضمن آيات الدعاء التي دُرست صوتياً، ودلت تقاليب (سَلَمَ) على السلامة والملاينة وعدم الخشونة، وبهذه الدلالة جاء اللفظ في آيات الدعاء بهذه

الصيغة، ويمكن الركون إلى هذه القاعدة لبيان كثير من خفايا هذه اللغة العجيبة وأسرارها.

ثانياً: تبيّن للبحث أنّ تشكيل الفونيمات في إطار الكلمات لم يكن اعتباطاً إذ إنها ذوات دلالات تظهر في بنية الكلمة، فكل فونيم يحمل دلالة معينة، فكان الفونيم الشديد للوقع الشديد كما في فونيمات أدعية أهل النار بصيغة (أخرجنا) إذ إنّ هذه الفونيمات بوقعها وجرسها أدت وظيفة التعبير عن شدة حال الداعين وسوء مآلهم، وكان الفونيم الرخو المهموس للمعاني السهلة والأحداث الليّنة كما تبين في جرس فونيمات (سلام)، ووقعها المريح في السمع، وأصداء فونيماتها المعبرة بذاتها عن فحواها، وفي تسلسل فونيمات (غفر) ودرجة شدتها، وعلاقة ذلك بالحالة النفسية للداعي، إذْ يفتتح الدعاء بصوت خافت لخجله، ثم يرفع صوته تدريجياً بعد أن يكسر حاجز الخوف ويشرع في الخطاب، فكانت درجة الغين أقل من درجة الفاء وهي أقل من درجة الراء. وظهر ذلك في فونيمات (الحمد لله) فكانت فونيماتها مُعبرة عن حالة الاستقرار النفسي بعد اجتياز أهوال الصراط والمحشر، والدخول في النعيم السرمدي والرضى الأبدي.

ثالثاً: في دلالة المصوتات توقف البحث عند التنوع الكمي والتنوع الكيفي للمصوتات القصيرة والطويلة ومغزى ذلك في دعاء القرآن الكريم، مع بيان علة غلبة المصوتات أو قلتها بعد إجراء إحصاء دقيق وشامل اندرج تحته عدد المصوتات، وكيفية توزيعها في ألفاظ الدعاء، فقد أظهرت الدراسة زيادة كمية المصوتات الطويلة في دعاء أهل النار، وكان ذلك مناسباً لطول صراخهم وامتداد أصواتهم بالعويل وطلب الخروج من النار، وزيادة المصوت القصير (a) في دعاء الله تعالى بصيغة (تبارك) علامة على الانشراح وتفتح البركات وزيادتها.

رابعاً: وفي مجال دراسة البنية المقطعية ودلالاتها فصل البحث في أنواع المقاطع (الطويلة منها والقصيرة، المفتوحة منها والمغلقة)، وتمّ ربط ذلك بالسياق ودلالاته، والحالة النفسية للداعين وأثر ذلك، فظهر أن بنية المقاطع

المغلقة في أدعية أهل النار مرتفعة ويعزى ذلك إلى انقباض قلوبهم، وشدة وقع العذاب عليهم، في حين كانت المقاطع المفتوحة هي الغالبة في الدعاء للأنبياء بصيغة (سلام) التي يناسبها الانشراح والتكريم والمدح في هذه الصيغة، وزادت المقاطع القصيرة في أدعية البحر لسرعة طلبهم وعدم إطالة أدعيتهم فكان ذلك مطابقاً لضيق وقتهم، وظهر ذلك في دعاء فرعون عند الغرق فقد كشفت الدراسة أن المقاطع القصيرة كانت غالبة في دعائه قبل غرقه بقليل.

خامساً: وفي دلالة ذبذبات الفونيمات (الحالة الأكوستيكية) استند البحث إلى الإحصاء الدقيق لبيان نسبة الفونيمات ذوات الذبذبات العالية والمتوسطة والهابطة في دعاء القرآن، وتوصل البحث إلى أنَّ الذبذبات العالية قد زادت في المواقع التي تتطلب وضوحاً سمعياً عالياً كما في أدعية البحر وأدعية أهل النار والدعاء بصيغة (سُبحانَ) التي أفادت التقديس والرد على أباطيل المشركين.

سادساً: في الدراسة الأكوستيكية للأصوات كشف البحث ظاهرة طبيعية تتجلى في أجواء البحر، حيث ناسب جوه الدعاء الذي صِيغَ فيه، فإنَّ الهواء الرطب تكون كثافته قليلة فتخترقه الأصوات بسهولة ويسر، والفتحة من أخف الحركات فظهرت أكثر من غيرها في أدعية البحر زيادة على ذلك حال الداعين وخوفهم وترقبهم جعلهم مذهولين فاتحين أفواههم فكان ذلك مدعاة إلى نطق الفتحات أكثر من غيرها، فكانت في دعائهم غالبة بصورة واضحة.

سابعاً: أفرزت دلالات سمتي الجهر والهمس عن معطيات صوتية كانت على صلة بالسياق والجو العام الذي يرد فيه الدعاء، فكان الجهر غالباً في دعاء البحر ودعاء أهل النار، لأن للمجهور وضوحاً سمعياً عالياً وذلك مطلوب في مثل هذه المواقف.

ثامناً: رسا البحث على حقيقة مفادها أنَّ النتائج التي توصلت إليها الدراسة الصوتية، متناسبة مع أقوال المفسرين في الأدعية التي درسها البحث، وما أشاروا إليه أيدته نتائج الدراسة، من ذلك أن دعاء سيدنا نوح عليه السلام: ﴿رَّبِّ أَنزِلْنِي

مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾[1] كان عند النزول من السفينة، وقد برهنت الدراسة أن المقاطع القصيرة قلت في هذا الدعاء وارتفعت المقاطع المتوسطة، لأن الحالة النفسية استقرت فلم يعد هناك خوف وتوتر عصبي يحملان على الاستعجال ونطق المقاطع القصيرة، وما قاله المفسرون عن دلالات ألفاظ (برك وسبحان وغفر وسلام) أيدته الدراسة الفونيمية والاشتقاقية وكانت مؤازرة لتفسيراتهم.

ومن النتائج الأخرى التي أظهرتها الدراسة: العلاقة الرمزية بين أشكال الفونيمات وأصواتها ودلالاتها، فإن دعاء سيدنا يونس عليه السلام في بطن الحوت كان بالتسبيح، والسين في هذا الدعاء يحمل دلالات رمزية وصوتية فمعناه مشتق من السمكة (في اللغة النبطية) وشكلها مستوحًى من شكلها، وبيَّن البحث ما بين هذه الأمور من ترابط دلالي. وكذلك بيَّن البحث أن مخارج الحروف لها مغزى دلالي كالذي أشرنا إليه في الدعاء بصيغة (سبحان) وأن الفونيمات المشكلة لهذا الدعاء تتوزع على أغلب مخارج الأصوات ابتداءً بالحلق وانتهاءً بالشفتين، وأظهر البحث أن ذلك يرمز إلى أن الداعي بهذه الصيغة إنما يقدس الله تعالى وينزّهُهُ بملء فَمه، تشترك المخارج في هذا التقديس ولا يقتصر هذا الشرف على مخرج واحدٍ.

هذه أبرز النتائج التي توصل إليها البحث بعد دراسة متأنية هدفها الوصول إلى كنه الإعجاز الصوتي في دعاء القرآن الكريم، وتقديم خدمة متواضعة إلى أعظم كتاب، وأشرف كلام.

والحمد لله في البدء والختام...

(1) سورة المؤمنون، الآية: 29.

شكر وامتنان

يُحتِّم الدين والخلق السليم ألّا نغمط الناسَ حقوقَهم، ويوصينا نبيُّ الرحمة أن نُكافئ من قدّم إلينا معروفاً، وقرّر أن من لم يشكر الناسَ لم يشكر الله؛ لذا يجب أن أُنوِّه بشكري وتقديري إلى حكومة إقليم كردستان، ورئاسة مجلس الوزراء، ورئاسة التعليم العالي، ورئاسة جامعة صلاح الدين، وكلية التربية للعلوم الإنسانية قسم اللغة العربية، والأساتذة الأجلّاء الذين درسوني لما قدموه لي من عون.

وشكري الخالص إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية لمنحها إيّاي إجازة إكمال الدراسة، والمكتب التنفيذي لاتحاد علماء الدين الإسلامي في كردستان.

ثم أقدم شكري الخالص إلى الإخوة الأفاضل الذين مدُّوا لي يد العون وأخص منهم بالذكر الأخ دلشاد شهاب والأخ قادر نجم الدين وأخي في الله الحاج نزار نصرالدين والأخ العزيز مقداد محمد شكر وأخي الشيخ صبغة الله محمد شفيع والأخ الملا عبد الله ملا سعيد والأخ ملا زبير والأخ الأستاذ صالح ملا عزيز والأخ وليد عمر.

وشكري وامتناني إلى إخوتي في الله جميعاً الذين آزروني وكانوا عوناً بدعائهم الخالص.

أتضرع إلى المعروف بالمعروف أن يجزيهم عنّي أحسن ما جازى به عباده الصالحين.

الطالب

مادح محمد عمر

المصادر والمراجع

1 - أبحاث في أصوات العربية/ د. حسام سعيد النعيمي/ دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية)، بغداد، ط1، 1998م.

2 - أساس البلاغة/ جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت538هـ)/ تحقيق عبد الرحيم محمود/ عرّف به أمين الخولي/ نشر دفتر تبليغات إسلامي/ إيران/ د.ت.

3 - أساسيات علم الكلام - دراسة في فيزيولوجيا الكلام وسمعياته وإدراكه/ تأليف د. جلوريا ج - بوردن، د. كاثرين س - هارس ولورانس ج - رافائيل/ ترجمة: د. محيي الدين حميدي/ دار المدى للثقافة والنشر/ ط1/ 1998م.

4 - أسباب حدوث الحروف/ أبو علي بن سينا/ حققه وقدم له (طه عبد الرؤوف سعد)/ مكتبة الكليات/ الأزهر/ مصر/ د.ت.

5 - أسرار البلاغة/ الإمام عبد القاهر الجرجاني/ تحقيق هـ - ريتر/ إستانبول/ مطبعة وزارة المعارف/ 1954م.

6 - أسرار العربية/ عبد الرحمٰن بن محمد بن عبد الله الأنباري (ت577هـ)/ دراسة وتحقيق: محمد حسين شمس الدين/ دار الكتب العلمية/ بيروت، لبنان/ ط1/ 1418هـ - 1977م.

7 - أسس علم اللغة/ ماريو باي/ ترجمة وتعليق د. أحمد مختار عمر/ عالم الكتب، القاهرة، ط8، 1998م.

8 - أسس علم النفس العام/ د. طلعت منصور ود. أنور الشرقاوي ود. عادل عز الدين ود. فاروق أبو عوف/ مطبعة أطلس/ القاهرة/ د.ت.

9 - الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية/ د. مجيد عبد الحميد ناجي/ المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع/ بيروت، لبنان/ ط1/ 1402 هـ/ 1984م.

10 - الأسلوبية الصوتية/ د. محمد صالح الضالع/ دار غريب/ القاهرة/ 2002م.

11 - أصوات العربية بين التحول والثبات/ د. حسام سعيد النعيمي/ جامعة بغداد/ سلسلة بيت الحكمة/ د.ت.

12 - أصوات اللغة/ د. عبد الرحمٰن أيوب/ مطبعة دار التأليف/ مصر/ ط1/ 1963م.

13 - الأصوات اللغوية/ د. إبراهيم أنيس/ مكتبة الأنجلو المصرية/ ط3، 1999م.

14 - الأصوات اللغوية/ د. عبد القادر عبد الجليل/ دار صفاء/ عمان - الأردن/ ط1/ 1418 هـ 1998م.

15 - الأصوات اللغوية/ د. محمد علي الخولي/ نشر مكتبة الخريجي/ د.ت.
16 - الأصوات اللغوية رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية - د. سمير شريف إستيتية - دار وائل للنشر - عمان، الأردن - ط 1 - 2003م.
17 - إعجاز القرآن والبلاغة النبوية/ مصطفى صادق الرافعي/ تحقيق عبد الله المنشاوي/ مكتبة الإيمان بالمنصورة/ القاهرة/ ط 1/ 1417 هـ -1997م.
18 - البحر المحيط/ أثير الدين أبو عبد الله بن يوسف بن حيان الأندلسي الشهير بأبي حيان (ت745هـ)/ دار الفكر/ ط2/ 1403 هـ - 1983م.
19 - بلاغة الخطاب وعلم النص/ د. صلاح فضل/ سلسلة عالم المعرفة/ مطابع السياسة/ الكويت/ آب 1992م.
20 - البلاغة عند الجاحظ/ د. أحمد مطلوب/ دار الشؤون الثقافية للطباعة والنشر/ دار الحرية للطباعة/ بغداد، 1983م.
21 - بلاغة الكلمة والجملة والجُمل، د. منير سلطان/ منشأة المعارف/ مصر/ 1977م.
22 - بنية اللغة الشعرية/ جان كوهن/ ترجمة محمد الوالي ومحمد العمري/ دار توبقال للنشر/ الدار البيضاء/ المغرب/ ط 1/ 1986م.
23 - البيان والتبيين/ لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (255هـ)/ تحقيق عبد السلام محمد هارون/ دار الجيل/ بيروت، لبنان/ د.ت.
24 - تأريخ الأدب العربي/ بروكلمان/ ترجمة عبد الحليم النجار/ مصر/ 1961 م.
25 - تأويل مشكل القرآن - ابن قتيبة(ت 276هـ)، شرحه ونشره السيد أحمد صقر- المكتبة العلمية - بيروت، لبنان، د.ت.
26 - تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)/ د. محمد مفتاح/ دار التنوير للطباعة والنشر/ بيروت، لبنان/ ط 1/ 1985م.
27 - التشكيل الصوتي في اللغة العربية، فونولوجيا العربية/ د. سلمان حسن العاني ترجمة د. ياسر الملاح/ مراجعة د. محمد محمود غالي/ طبع النادي الأدبي الثقافي/ السعودية/ ط 1/ 1403 هـ -1983م.
28 - التصوير الفني في القرآن - سيد قطب - دار الشروق - د.ت.
29 - التعبير القرآني/ د. فاضل صالح السامرائي/ دار الكتاب للطباعة والنشر/ جامعة الموصل/ 1989م.
30 - تفسير أبي السعود أو (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)/ للقاضي أبي السعود محمد بن مصطفى العمادي الحنفي (ت 982هـ)/ وضع حواشيه عبد اللطيف عبد الرحمٰن/ منشورات محمد علي بيضون/ دار الكتب العلمية/ بيروت/ لبنان/ ط 1/ 1419 هـ - 1999م.

31 - تفسير البيضاوي المسمّى أنوار التنزيل وأسرار التأويل/ تأليف القاضي ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت 791هـ)/ تحقيق أ.د حمزة النشرتي، الشيخ عبد الحفيظ فرغلي، أ.د عبد الحميد مصطفى - نشر مكتبة الأصولي، دمنهور، ومكتبة النشرتي، 1418هـ.

32 - تفسير الطبري المسمى بجامع البيان عن تأويل آي القرآن للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري/ ضبط وتعليق محمود شاكر/ تصحيح (علي عاشور)/ دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان/ ط 1/ 1421 هـ - 2001 م.

33 - تفسير القرآن العظيم، جلال الدين محمد بن أحمد المحلّي وجلال الدين عبد الرحمٰن بن أبي بكر السيوطي/ دار الفكر/ بيروت، لبنان - 1991م.

34 - تفسير القرآن العظيم، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير (ت774هـ)/ تحقيق: عبد الرزاق المهدي/ دار الكتاب العربي/ بيروت، ط1/ 2001م.

35 - تفسير القرآن العظيم، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير (ت774هـ)/ تقديم: عبد القادر الأرناؤوط/ مكتبة دار الفيحاء/ دمشق/ مكتبة دار السلام/ الرياض/ ط2/ 1418هـ - 1998م.

36 - تفسير القرطبي المسمى بالجامع لأحكام القرآن/ لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي/ تحقيق: عبد الرزاق المهدي/ دار الكتاب العربي/ بيروت، لبنان/ ط5/ 423هـ - 263م.

37 - التفسير الكبير/ للإمام الفخر الرازي/ دار إحياء التراث العربي - بيروت/ ط3، د.ت.

38 - التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج/ د. وهبة الزحيلي/ دار الفكر/ دمشق/ ط2/ 1424 هـ - 2003م.

39 - تفسير النسفي المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل لعبد الله بن أحمد بن محمود النسفي/ دار المعرفة/ بيروت لبنان/ ط1/ 1421 هـ - 2001 م.

40 - التفكير الصوتي عند الخليل/ حلمي خليل/ دار المعرفة الجامعية/ مصر/ ط1/ 1988م.

41 - (جدل اللفظ والمعنى) دراسة في دلالة الكلمة العربية/ د. مهدي أسعد عرار/ طبع دار وائل للنشر/ عمان - الأردن/ ط1/ 2002م.

42 - جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب/ د. ماهر مهدي هلال/ دار الحرية للطباعة، بغداد، 1980م.

43 - جماليات الصوت اللغوي دراسة لغوية نقدية/ د. علي السيد يونس/ دار غريب للطباعة والنشر/ القاهرة/ 2002م.

44 - جمهرة اللغة/ أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد/ حيدر آباد/ ط1/ 1345هـ.

45 - جوامع الدعاء من القرآن والسنة/ د. محمد السيد طنطاوي/ دار مكتبة الأندلس بنغازي/ ليبيا/ د.ت.

46 - حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي/ دار صادر/ بيروت، لبنان، د.ت.
47 - الخصائص/ تأليف أبي الفتح عثمان بن جني/ تحقيق د. عبد الحميد هنداوي/ دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان/ ط2/ 2003 م.
48 - خصائص الحروف العربية ومعانيها/ حسن عباس/ منشورات اتحاد الكتاب العرب/ دمشق/ 1998م.
49 - الخطابة بين النظرية والتطبيق/ محمود محمد محمد عمارة/ مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع/ مصر/ ط1/ 1418 هـ -1997م.
50 - دراسات جديدة في إعجاز القرآن مناهج تطبيقية في توظيف اللغة، د. عبد العظيم إبراهيم محمد، مطبعة أميرة للطباعة، مكتبة وهبة، مصر، ط1، 1997م.
51 - الدراسات الصوتية عند علماء التجويد/ غانم قدوري الحمد/ مطبعة الخلود/ بغداد/ ط1/ 1986م.
52 - دراسات في علم اللغة: د. كمال بشر/ دار غريب للطباعة والنشر/ القاهرة/ 1998م.
53 - دراسات في فقه اللغة العربية/ د. صبحي الصالح/ دار العلم للملايين/ بيروت، لبنان/ ط7/ آذار، 1978م.
54 - دراسات في فقه اللغة والفونولوجيا العربية/ أ.د يحيى عبابنة/ دار الشروق للنشر والتوزيع/ عمان، الأردن/ ط1/ 2000م.
55 - الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني - د. حسام سعيد النعيمي - طبع دار الطليعة - بيروت، نشر دار الرشيد، منشورات وزارة الثقافة والإعلام - العراق - 1980م.
56 - دراسة السمع والكلام/ د. سعد مصلوح/ عالم الكتب/ القاهرة/ 1980م.
57 - دراسة الصوت اللغوي/ د. أحمد مختار عمر/ نشر عالم الكتب - القاهرة، 2004م.
58 - الدعاء/ د. علي شريعتي/ ترجمة سعيد علي/ دار التوجيه الإسلامي/ بيروت/ ط2/ 1399 هـ - 1979م.
59 - دلائل الإعجاز/ عبد القاهر بن عبد الرحمٰن الجرجاني/ تحقيق د. عبد الحميد هنداوي/ دار الكتب العلمية/ بيروت، لبنان، ط1/ 1422 هـ - 2001م.
60 - دلالة الألفاظ/ د. إبراهيم أنيس/ ط3/ المطبعة الفنية الحديثة/ 1976م.
61 - دور الكلمة في اللغة/ ستيفن أولمان/ ترجمة وتقديم د. كمال محمد بشر/ مكتبة الشباب/ القاهرة/ ط10/ 1986م.
62 - ديوان أبي نواس الحسن بن هانئ (ت195هـ)/ تحقيق وضبط وشرح أحمد عبد المجيد الغزالي/ دار الكتاب العربي/ بيروت، لبنان/ د.ت.
63 - رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية/ د. غانم قدوري الحمد/ مؤسسة المطبوعات العربية/ بيروت، لبنان/ ط1/ 1402 هـ - 1982 م.

64 - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي - دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان - ط4 - 1985م.

65 - زبدة التفسير مِن فتح القدير/ محمد سليمان عبد الله الأشقر/ مطابع الأنباء، الكويت/ الطبعة الأولى/ 1406هـ - 1985م.

66 - الزحاف والعلة رؤية في التجريد والأصوات والإيقاع/ د. أحمد كشك/ دار غريب/ القاهرة/ 2005م.

67 - ست محاضرات في الصوت والمعنى/ رومان ياكوبسن/ ترجمة: حسن ناظم، علي حاكم صالح/ المركز الثقافي العربي/ د.ت.

68 - سر الفصاحة/ الأمير أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي (ت466هـ)/ شرح وتصحيح عبد المتعال الصعيدي - مطبعة محمد علي صبيح وأولاده، القاهرة، 1969م.

69 - سر صناعة الإعراب/ أبو الفتح عثمان بن جني ت 392 هـ/ تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل، وشارك في التحقيق أحمد رشدي/ دار الكتب العلمية/ بيروت - لبنان/ ط 1/ 2000م.

70 - سيكولوجية اللغة والمرض العقلي/ د. جمعة سيد يوسف/ مطابع السياسة/ الكويت/ سلسلة كتب شهرية تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب/ الكويت: تحت رقم 145 - جمادى الآخرة 1410هـ - كانون الثاني 1990م.

71 - شرح المختصر/ لسعد الدين التفتازاني على تلخيص المفتاح للقزويني/ منشورات دار الحكمة/ قم/ إيران/ د.ت.

72 - شرح المفصل/ موفق الدين بن علي بن يعيش النحوي (643هـ)/ تحقيق وشرح أحمد السيد أحمد/ المكتبة التوفيقية/ القاهرة/ د.ت.

73 - صحيح سنن ابن ماجه/ محمد ناصر الدين الألباني/ المكتب الإسلامي/ بيروت/ ط 1/ 1407هـ - 1986م.

74 - صفوة التفاسير/ محمد علي الصابوني/ دار القلم، بيروت، لبنان - نشر مكتبة جدّة/ ط5/ 1986م.

75 - الصوائت والمعنى في العربية (دراسة دلالية ومعجم)/ د.محمد محمد داود/ دار غريب/ القاهرة/ 2001م.

76 - الصوتيات/ برتيل مالمبرج/ ترجمة د. محمد حلمي هليّل/ نشر (عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية/ القاهرة/ 1994م.

77 - العربية والبحث اللغوي المعاصر/ أ.د. رشيد عبد الرحمٰن العبيدي/ مطبعة المجمع العلمي/ بغداد/ 1423هـ - 2003م.

78 - علم الأصوات/ د. حسام البهنساوي/ مكتبة الثقافة الدينية/ القاهرة/ ط 1/ 1425هـ - 2004م.
79 - علم الأصوات/ د. كمال محمد بشر/ دار المعارف/ مصر/ 1975م.
80 - علم الدلالة/ أحمد مختار عمر/ مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع/ د.ت.
81 - علم اللغة/ د. حاتم صالح الضامن/ مطابع وزارة التعليم العالي بالموصل/ د.ت.
82 - علم اللغة العام/ فرديناند دي سوسور/ ترجمه يوئيل يوسف عزيز، مراجعة النص العربي د. مالك يوسف المطلبي/ دار آفاق عربية/ بغداد/ د.ت.
83 - علم اللغة مقدمة للقارئ العربي/ د. محمود السعران/ طبع دار النهضة العربية للطباعة والنشر/ بيروت/ لبنان/ د.ت.
84 - علم نفس اللغة من منظور معرفي/ أ.د موفق الحمداني/ دار المسيرة للنشر والطباعة/ عمان، الأردن/ ط 1، 1425هـ - 2004م.
85 - العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده/ لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني (456هـ)/ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد/ دار الجيل للنشر والطباعة/ بيروت، لبنان/ ط4/ 1972م.
86 - العين/ الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175هـ) تحقيق د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي/ مطابع الرسالة، الكويت، دار الرشيد للنشر، 1980م.
87 - الفريد في فن التجويد/ محمود مصطفى الحبّال، أكرم محمود خضر/ انتشارات سعيد بن جبير، الثقافة الإسلامية/ 1371 إيراني - 1992م.
88 - فقه الدعاء/ سعيد محمد اللحام/ دار الرائد العربي/ بيروت، لبنان. ط/ 1048هـ - 1988م.
89 - فقه اللغة العربية/ د. طاصد ياسر الزيدي/ دار الكتب للطباعة والنشر/ جامعة الموصل/ 1407هـ/ 1986م.
90 - فقه اللغة وخصائص العربية/ د. محمد المبارك/ دار الفكر/ لبنان/ ط2/ د.ت.
91 - فقه اللغة وسر العربية/ لأبي منصور الثعالبي (ت430هـ)/ حققه: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي/ نشر عام 1403 هـ/ مكتبة الجعفري التبريزي/ طهران/ طبع مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده/ مصر/ ط3/ د.ت.
92 - في الأصوات اللغوية (دراسة في أصوات المد العربية)/ د. غالب فاضل المطلبي/ دار الحرية للطباعة/ بغداد/ 1984م.
93 - في أصول النحو/ د. سعيد الأفغاني/ دار الفكر العربي/ بيروت/ 1383هـ - 1963م.
94 - فيزياء الصوت والحركة الموجية/ د. أمجد عبد الرزاق كرجيه/ دار الكتب للطباعة والنشر/ جامعة الموصل/ 1987م.
95 - الفيزياء الموجية/ ميرفانا ياسر سلّامة/ دار صفاء/ عمان، الأردن/ ط 1/ 2004 م.

96 - في ظلال القرآن/ سيد قطب/ دار الشروق/ بيروت، لبنان/ ط9/ 1400 هـ -1980م.
97 - القاموس المحيط/ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت817هـ) مؤسسة الرسالة/ بيروت/ ط2/ 1407هـ - 1987م.
98 - القراءات القرآنية بين الدرس الصوتي القديم والحديث/ د. مَيْ فاضل الجبوري/ طباعة دار الشؤون الثقافية العامة/ بغداد/ ط1/ 2000م.
99 - قل ولا تقل: د. مصطفى جواد/ أشرف على طبعه عبد المطلب صالح/ مطبعة الراية/ بغداد/ 1408هـ - 1988م.
100 - قواعد التجويد والإلقاء الصوتي/ الشيخ جلال الحنفي البغدادي/ دار الحرية للطباعة/ بغداد/ 1407 هـ -1987م.
101 - قواعد النقد الأدبي، لاسل آبركرومبي، ترجمة د. محمد عوض محمد، طبع ونشر دار الشؤون الثقافية العامة - آفاق عربية - بغداد - ط2 - 1986م.
102 - الكتاب/ عمرو بن عثمان بن قنبر (سيبويه) تعليق د. إميل بديع يعقوب/ دار الكتب العلمية/ بيروت، لبنان/ ط1/ 1999م.
103 - الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل - لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت538هـ) - دار المعرفة - بيروت - د.ت.
104 - الكلام إنتاجه وتحليله/ د. عبد الرحمٰن أيوب/ مطبوعات جامعة الكويت/ ط1/ 1404هـ - 1984م.
105 - لسان العرب لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري (ت711هـ) - دار صادر، بيروت، ط1، 1997م.
106 - لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب/ محمد الخطابي/ المركز الثقافي العالي/ بيروت/ لبنان/ ط1، 1991م.
107 - اللسانيات واللغة العربية نماذج تركيبية ودلالية/ د. عبد القادر الفاسي الفهري/ دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية)/ بغداد/ د.ت.
108 - اللغة العربية معناها ومبناها: د. تمام حسان/ طبع عالم الكتب/ القاهرة/ ط4/ 1425 هـ - 2004م.
109 - اللغة وعلم النفس/ د. موفق الحمداني/ دار الكتب للطباعة والنشر/ جامعة الموصل/ د.ت.
110 - اللغة والمعنى والسياق/ جون لاينز/ ترجمة د. عباس صادق الوهاب، مراجعة يوئيل عزيز/ دار الشؤون الثقافية/ بغداد/ ط1/ 1987م.
111 - ما نسمع وما لا نسمع/ د. أمجد عبد الرزاق كرجيه ود. فيصل عبد الحكيم/ مديرية دار الكتب للطباعة والنشر/ جامعة الموصل/ د.ت.
112 - مباحث في علم اللغة واللسانيات/ أ.د. رشيد عبد الرحمٰن العبيدي/ طبع دار الشؤون الثقافية العامة/ بغداد/ ط1/ 2002م.

113 - مجمع البيان في تفسير القرآن/ لأبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي/ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات/ بيروت، لبنان/ 1415هـ - 1995م.

114 - مجمع الزوائد/ الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي المصري/ دار الكتب العلمية/ بيروت، لبنان/ ط 1/ 2001م.

115 - المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها/ لأبي الفتح عثمان بن جني/ دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا/ دار الكتب العلمية/ بيروت لبنان/ ط 1/ 1998م.

116 - مختارات معربة من كلمات القرآن الكريم - توفيق بن عمر بلطجي - دار الفكر - دمشق، 2000م.

117 - مختصر تفسير ابن كثير/ محمد علي الصابوني/ دار إحياء التراث العربي/ بيروت، لبنان/ ط 1/ د.ت.

118 - مدخل إلى التصوير الطيفي للكلام - أرنست بولجرام - ترجمة د. سعد عبد العزيز مصلوح، عالم الكتب - القاهرة - 2002م.

119 - المدخل إلى علم أصوات العربية/ الدكتور غانم قدوري الحمد/ طبع المجمع العلمي/ بغداد/ 1423 هـ - 2002م.

120 - المدخل إلى علم الأصوات - دراسة مقارنة/ د. صلاح الدين صالح حسين/ دار الاتحاد العربي للطباعة/ ط 1/ 1981م.

121 - المزهر في علوم اللغة وأنواعها/ عبد الرحمٰن جلال الدين السيوطي/ شرح وتعليق: محمد أحمد جاد المولى، علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم/ دار الجيل/ بيروت/ د.ت.

122 - مشاهد القيامة في القرآن/ سيد قطب/ مطبعة أنوار دجلة/ بغداد/ د.ت.

123 - المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء في ضوء علم اللغة المعاصر/ د. عبد القادر مرعي العلي الخليل/ الأردن/ جامعة مؤتة/ الطبعة الأولى/ 1993م.

124 - معارج التفكر ودقائق التدبر، تفسير تدبري للقرآن الكريم/ عبد الرحمٰن حسن حبنكة الميداني/ دار القلم/ دمشق/ ط 1/ 1421 هـ - 2000م.

125 - معترك الأقران في إعجاز القرآن/ جلال الدين عبد الرحمٰن أبي بكر السيوطي (ت 911 هـ)/ ضبطه وصححه وكتب فهارسه: أحمد شمس الدين/ دار الكتب العلمية/ بيروت، لبنان/ ط 1/ 1408 هـ - 1988م.

126 - معجم مقاييس اللغة/ أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت395هـ)/ دار إحياء التراث العربي/ بيروت/ لبنان/ 2000م.

127 - مفردات ألفاظ القرآن/ الراغب الأصفهاني (ت425هـ)/ تحقيق صفوان عدنان داوودي/ دار القلم/ دمشق/ الدار الشامية/ بيروت/ ط 1/ 1416 هـ - 1996م.

128 - مفهوم النص (دراسة في علوم القرآن)/ د. نصر حامد أبو زيد/ المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع/ بيروت، لبنان/ ط3/ 1996م.
129 - المقدمة/ ابن خلدون/ طبعة بالأوفسيت/ القاهرة/ د ت.
130 - مقدمة في اللغويات المعاصرة/ د. شحده فارع ود. موسى عمايرة ود. محمد العناني ود. جهاد حمدان/ دار وائل للنشر/ عمان، الأردن/ د.ت.
131 - من أساليب القرآن/ د. إبراهيم السامرائي/ دار الفرقان/ عمان/ الأردن/ ط2/ 1407 هـ - 1987م.
132 - من أسرار العربية في البيان القرآني/ د. عائشة عبد الرحمٰن - محاضرة ألقيت في جامعة بيروت في 27/ 3/ 1972 - طبع دار الأحد، بيروت.
133 - مناهج وآراء في اللغة/ د. محمد بركات حمدي أبو علي/ دار الفكر، عمان/ الأردن/ 1984م.
134 - مناهل العرفان في علوم القرآن/ الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني/ دار إحياء التراث العربي/ بيروت - لبنان/ ط2/ د.ت.
135 - منهج النقد الصوتي في تحليل الخطاب الشعري الآفاق النظرية وواقعية التطبيق/ د. قاسم البريسم/ دار الكنوز الأدبية/ ط1، 2000م.
136 - المنهج الوصفي في كتاب سيبويه/ د. نوزاد حسن أحمد/ منشورات جامعة قار يونس/ بنغازي/ ليبيا/ ط1 1996م.
137 - مواهب الرحمٰن في تفسير القرآن/ عبد الكريم محمد المدرس/ عني بنشره محمد علي القرداغي/ دار الحرية للطباعة/ بغداد/ ط1/ 1408 هـ - 1988م.
138 - موسوعة الدحداح/ ملحق مطبوع مع كتاب قطف النظيف على شرح تصريف الملا علي/ العلامة الملا خليل السنجاوي/ ط انتشارات كردستان/ إيران/ د.ت.
139 - الموسوعة القرآنية الميسّرة/ د. وهبة الزحيلي، محمد بسام رشدي الزين، محمد عدنان سالم، محمد وهبي سليمان/ دار الفكر/ دمشق/ ط3/ 1425 هـ - 2004م.
140 - موسيقى الشعر/ د. إبراهيم أنيس/ دار القلم/ بيروت/ لبنان/ د.ت.
141 - النثر الصوفي دراسة فنية تحليلية/ د. فائز طه عمر/ دار الشؤون الثقافية العامة/ بغداد/ ط1/ 2004م.
142 - النظام الصوتي التوليدي/ Sanford. A. Schane - ترجمة د. نوزاد حسن أحمد، مطبعة جامعة صلاح الدين، أربيل، ط1، 2005م.
143 - نظرية النحو العربي القديم دراسة تحليلية للتراث اللغوي العربي من منظور علم النفس الإدراكي/ د. كمال شاهين/ دار الفكر العربي/ القاهرة/ ط1/ 1423هـ - 2002م.
144 - الوجيز في فقه اللغة/ محمد الأنطاكي/ منشورات دار الشرق/ ط2/ د.ت.

145 - اليوم الآخر في ظلال القرآن/ جمع وإعداد أحمد فائز/ مؤسسة الرسالة/ بيروت، لبنان/ ط2/ 1421هـ، 2000م.

الأطاريح والرسائل

146 - ألفاظ القوّة في القرآن الكريم دراسة معجمية دلالية/ هلطورد محمد حسن/ رسالة ماجستير/ كلية التربية، جامعة صلاح الدين/ 2003م.
147 - التطور الصوتي في كتب التصحيح اللغوي وتفسيره في ضوء علم اللغة الحديث/ صالح فارس حسين/ رسالة ماجستير/ جامعة بغداد/ كلية الآداب/ 1990م.
148 - الخصائص لابن جني دراسة وتحليل/ رسالة ماجستير/ علي ناصر محمد أبو الخيل/ جامعة بغداد، كلية الآداب/ 1988.
149 - دلالات أصوات اللّين/ رسالة ماجستير/ طوليزار كاكل عزيز/ جامعة صلاح الدين/ 1414هـ - 1994م.
150 - المكونات الصوتية للإيقاع وأنماطه في الشعر والنثر/ حامد مزعل الراوي/ أطروحة دكتوراه/ كلية الآداب/ جامعة بغداد/ 1996م.

البحوث المنشورة في الدوريات

151 - الأسلوبية اللسانية/ أولريش بيوشل/ ترجمة خالد محمود جمعة/ مجلة نوافذ (13)/ جمادى الآخرة/ 1420 هـ - سبتمبر 2000م.
152 - بنية الدعاء (دراسة تأصيلية في جماليات الخطاب النبوي)/ د. عبد الله العشي/ جامعة البحرين/ مجلة العلوم الإنسانية العدد (3)/ شتاء 2000م.
153 - دراسة يوري لوتمان البنيوية للشعر/ بارتون جونسون/ ترجمة د. سيد البحراوي/ مجلة الفكر العربي/ العدد (25) السنة الرابعة/ 1982م.
154 - دور الصوت في إعجاز القرآن: د. حازم سليمان الحلي/ بحث منشور ضمن بحوث المؤتمر الأول للإعجاز القرآني المعقود ببغداد من 21 - 26 رمضان 141 هـ 16 - 21 نيسان 1990 م/ مطبعة الأمة/ بغداد/ 1990م.
155 - طرق العرض في القرآن الأهداف والخصائص الأسلوبية/ د. بن عيسى با طاهر/ مجلة حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية/ مجلس النشر العلمي/ جامعة الكويت/ الرسالة 178، الحولية الثانية والعشرون/ 2001 - 2002م.
156 - من صور الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم/ محمد السيد سليمان العبد/ المجلة العربية للعلوم الإنسانية/ جامعة الكويت، المجلد التاسع/ العدد 36، السنة التاسعة/ 1989م.
157 - المنهج الصوتي للنحو العربي في (معاني القرآن) دراسة/ د. محمد كاظم البكاء/ مجلة المورد/ المجلد السابع عشر/ العدد الرابع/ 1409 هـ - 1988م.

المصادر المأخوذة من شبكة المعلومات العالمية (الإنترنت)

158 - التناسق البياني لكلمات القرآن الكريم/ المهندس عبد الدائم الكحيل/ موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم/ الإنترنت: www. 55a. net / bean. htm.

159 - الصوت اللغوي في القرآن الكريم/ د. محمد حسين علي الصغير/ دار المؤرخ العربي/ بيروت/ لبنان/ من الإنترنت: http\\ www. Rafed. net\ book \ olom - quran \a\ - saut\ 11. html

160 - في جمالية الكلمة (دراسة جمالية بلاغية نقدية)/ أ. د حسين علي جمعة/ منشورات اتحاد الكتاب العرب/ دمشق - 2002 م/ بحث مَنشور في الإنترنت على موقع اتحاد الكتاب العرب.

161 - النقد والإعجاز (دراسة)/ د. محمد تحريشي/ من منشورات اتحاد الكتاب العرب/ دمشق/ 2004م/ من موقع اتحاد الكتاب العرب على شبكة الإنترنت http;//www. awu-dam. org

المصادر الأجنبية

162 - Acourse is modern Linguistics / ch. Hockett. New York / 1989.

163 - American anthropologyis: c.H conclin: vol (51) - 1949

164 - Anote on the physical factor in stammering. C. crichton miller: (1936)

165 - English phonetics and phonology - A practical - course - peter Roach - CAM-BRIDGE -university press.

166 - General phonetics.

167 - language; A. sapir; New York; 1922.

168 - Language (Bloomfield) / (London) 1933

169 - New Horizons in Linguistics: John-Lynos: pengain Book: 1971.

170 - the phoneme; jin knomsky; 1974

171 - The phoneme- phonology: philip car: England: 1997

172 - The sound of the World's Language peter ladefoged: Black well- puplish ed 2002/.